فـدوى

الكتاب: فدوى (رواية)
المؤلف: فدوى حسن
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٠٨
رقم الإيداع: ٥٣١٤/٢٠٠٨
االترقيم الدولى:
I.S.P.N: 987 – 977 – 6284 – 03–6

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٣ د ٨٠ ش ٤٤ الهضبة الوسطى – المقطم – القاهرة
ت/ فكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢)٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
Web: www.shams-group.net

الغلاف : الفنان أمين الصيرفى

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أى جزء من هذا الكتاب بأى وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

فــدوى

رواية

فدوى حسن



حتى وقت قريب..
كنتُ سأظلُّ فيحاء الأسرة؛
لكن ثمة مارد مرَّ بي...
ألقحني الحكمة
ثم.....
هرب.

هبطَ من أعلى إلى داخلي
في حالة أشبه بالتعبُّد
أنفاسه بأذني همهمة، تدغدغُ حواسي
صدره يعلو ويهبط
أتعلّق بأحباله في رحلتَيّ الصعودِ والهبوطِ؛
لأمر بتلك اللفحة الساخنة،
أنفلتُ من جاذبية نفسي،
أدلف نحو معبده، وكلي حزمة من الليونة،
أدنو مرة أخرى بصحبة هبوطه وكبريائه،
أغمض عيناي لأحفظ توازني،
أرى العالم من فوق
وقلبي يستغيث به،
تلتقطني أنفاسه مرة أخرى
تُرعشني لمسته،
إشارة مليئة بالغموض
تخترقني..،
تنتزعُ الماضي وارتكاساته
تجردني..،
أكتشف أنّه ما لا نهاية
كنِصف قُطر الكون،

برغم كل هذا .....
شيء ليس بقديم،
يستدرجني لِهُناك.
التراب المبلل.. صوت الساقية، يزنُّ، يئن أحيانًا.
قطة وحيدة تسكن سطح دارنا،
أراقب أبو قردان..
حين تُغمر الأرضُ بالماء،
تنتشر رائحةُ جذور البرسيم القديمة ،
ولا أدري...
هل كان حنقي للعصافير نتيجة طبيعية لما فعلوه بي؟!
- كيف أكرههم؟!
- بأي طريقة؟

كل ما أعرفه أنَّ الكُره يشبههم كثيرًا.
الوسيلة الوحيدة للانتقام؛
أنْ أكتب عنهم بصدق.

أبي كان يجهل الكتابة..
لكنه يُجيدُ قراءةَ الواقع.
كلَّ دَوْرة أُرزٍ؛ أُعد له الكشوف،
حتى حفظت أجداد البلدة كلها رغم إرادتي.
ورثة نبوية علي موسى،
أكثر الأسماء العالقة بأحبال رأسي.
ـ اختموه بحق...؟
ـ مش إحنا يا بنت الـ......

كل الأبطال الشعبيين راحوا ضحية الخيانة،
حتى هذه اللحظة...
ما زلت لا أعرف مفهومًا مُحددًا للآراء،
لكني أشعر بارتطامات تعثرها.
هل يومًا ما سأجد تفسيرًا لكل ما يحدث؟!

أمي كانت كُتلة مِن التلقائية،
تبتدعُ دراما حزينة بجلوسها على ماكينةِ الخياطة..
كانت من الممكن أنْ تتناول قضاياها بشيء من البساطة
صَنَعها تراثٌ شعبي غبي..
لو كانت تعرف طرقًا أخرى للصعود؛
لوجدتْ مبررات قوية لضعفها.

لا أتذكر من حواري معها سوى التحريض الدائم على الانتفاضة،
تُشعلني بالثورة،
لتَشعرُ هي بلذة التمرد الذي حُرمت منه للأبد.

كانت لها قصة طويلة
عن زوجة الأب التي كانت تحرمها من رغيف الخبزِ
وباقي حكاية سندريلا المعروفة،
ثُم كان فارسها في النهاية "أبي"

لو كان لي أخٌ، ما تركته يحب فتاة غيري
صورة الولد مقترنة بكل مواقف الشجن.
ابن عمي يسكن منطقة حالمة بعقلي
يُخيَّل لي نظراته تلاحقني
وأنا أتسلق النخلة العجوز
يراقبني وأنا أُوزِّع التمر بين مَنْ أُشفق عليهم

وكأنني قرأتُ مبادئ الاشتراكية منذ السابعة من عمري
ثم إبراهيم رائد الفصل
يملأ مناطق الخطر،
يضعني بغروره وجماله؛ التافهة، الذائبة بحبه
بقليلٍ من الصبر؛
سأجد من يشبهني في الدنيا الذكورية
سيأتي مرتديًا "بدلته"، وينظر بعيني؛
يكتشف ظلمهم لي
ينحازُ لموقفي
ويتبنّى فلسفتي
لا بُد وأنْ يأتي...

بين "تل أبو حامد" و "التل الكبير"
طريقٌ زراعي طويل
على حافته اليمنى مسقًى صغير،
ينمو حوله نبات الحلفا وعشش الثعابين
حين تُغازله الأمطار؛
يتحول إلى بركة آسنة
أتخطاها،
بترجي،
حتى أصل لمدرستي بسلام،
استنزف أحلامي
وصَبَغ بشرتي بسِمَاتِه.
قرون الفول الحِرَاتي كانت الرائحة المثالية لأنفي،
شجرة الصفصاف اللعينة
تتوسط هذا الطريق،
لكنّها أحبت صفحة الماء أكثر مني؛
يوم طلبت منها سرًّا
أنْ تنحني قليلًا لتحميني من كلاب العرب.
خانتني..
هناك،

حتى،

الأشياء،

تُقدِّس الخِيانة،

أتخيّل

ونحن في فناء المدرسة

نحيي العلم

فجأة

يسقط الناظر من وَقاره

ويرقص على واحدة ونص،

سنضحك جميعًا

أبالغ في تصوراتي

أكثر مما يجب.

الفتى الناعس دائمًا..
لا يزورنا إلا للضرورة.
كلما دبَّ بقبضته البوابة الضخمة
أعرف أنَّه "فرحات"
يقتحم الطين بحب شديد،
يجيد التفاوض معه عن كَثب
كان يعشق أختي الكُبرى،
لكن قانون "الناس والدرجَات"
وضع فرحات دون إرادته في موضع الأجير،
لَعنه يوم أنْ تقدم لخطبتها
وكرهتُها منذ رفضها له
وسميتُ أبي إقطاعيًّا
وظل "فرحات" طوال إقامته بنفسه يقتلع "الحلفا"
"والبوط" و"السمار"

(أرجو ألا أكون أحد هؤلاء البوساء عندما أصبح كبيرًا)
«ألبرت أينشتاين»

كانت لأبي عصًا نحيفة
مِن جذع أحد الأشجار
ولما جاد عليه الزمان وامتلك عصًا خيزرانية؛
تركها ودخل مقبرته.

شباك حجرتي لحسن حظي،
كان ضلفتاه يُضمان بترباس نحيف،
يذكرني دائمًا بأشخاص لهم نفس العلامات الصغيرة؛
لا أتذكر أسماءهم؛ مِن كثرة ما حاولت نسيانهم.
النسيان كان صديقًا حميمًا لأبي في أيامه الأخيرة.
كان يسبها بألفاظ لا تليق بامرأة لها ابنة ترفض جهل الطبيعة.. لكنه كان أبي، له حكاية كل أب،

الرجل الممتلئ
ثم الرجل العجوز
لا أتذكر متى بدأ...؟
أعرف تمامًا
كيف انتهى.

سكنت أرجوحتي العاشرة
كان لا بُد وأنْ أدخل كهف الأنوثة؛
بسبب بضع قطرات من هذا السائل الأحمر.
كان امتطاء الأرجوحة مستحيلًا
أتمناها كل الأوقات
تصطحبني،
تسحبني من كميتي حتى اللا شيء
عكس "أم إمام"؟
ماذا كانت تمثل لي تلك الدفعة القوية..؟
تلك المسافة الشاهقة بيني وبين الأرض؛ في رحلة نصف دائرية؟!

مجرد الإحساس بالخطر، يرسّب بداخلنا قواعد التعامل مع كل ما هو متحرك، إحساس عالي الجودة، هذا الذي يُملكك السماء لتحتضنها بقلب مفتوح، كأننا نهرب من كل ما هو أرضي.
فعند هذه النقطة البعيدة تريد أنْ تترك شيء من آثارك، تتعلق بكل ما هو خيالي؛ لتظل أكبر وقت ممكن
دوخة بسيطة أمارس بمقتضاها سُكر الكبار
- أعود يسبقني جسدي للهبوط.

هناك..
على أطراف الليل

موال زكريا، وترتيل الشيخ أحمد،
ومسمسة الأرملة الشهقاء "مفيدة"

تقطع خبطة يده أنشودة السكون
- كان سربا من الناموس.

(كل جزء من أجزاء الكون، يؤثر على نحو مباشر أو
غير مباشر في كل جزء آخر)

«هيجل»

هل كان حيًّا...؟

ذلك الجزء السُفلي من خلف الجلابية البيضاء؟

هذا الذكر،

تاهت ملامحه العلوية من شدة انتباهي في النظر لأسفل، هذا الجزء الأول من القطعة السفلية جرابًا يحوي أشياء لا يكتمل حدوثها، تنقطع في مونتاج الأفلام التليفزيونية.

أكره هذه التقنية

- مَن كان هذا الرجل؟!

لو أني جربت كشفه قبل هذا ما أضعت كل هذا الوقت في الاحتلام معه.

- لم يحبني إلا رجل واحد

لكنني كنت أحب كل رجل أصادفه؛

لأن أخي غير الشقيق لم يقص علي مما يتكون أى رجل؛

ولأن أبي كان عجوزًا،

حين بدأت الرغبة تداعبنى؛

كان هو قد فقدها.

لا أدري ما الذي جذبني للكتابة،
بتُّ ليلة حزينة، بعدما هجرني "وجيه" زميل الدراسة،
استيقظت على غير المعتاد؛
أسمع الكلام... وأقرأ،
وأتفوق في دراستي... واكتب.
أوحيتُ لهم أنّي مطيعة وعبقرية

وفي الحقيقة إنّي كنت أهدئهم جميعًا؛ لأكتب أيضًا
لكنه مزاج لعين، لا يشبعني أبدًا
سمير كان يقول إن الشخبطة لا تحتاج كل هذا المجهود،
لم يكن معتوهًا،
كل ما هنالك أنّه فشل في التعامل مع أبويه.
اقترحت على مدير مدرستي أن يكون هناك قانون يُجبر الآباء علي إعادة تربية أنفسهم.

قال لي :
ـ سنبدأ بأبيك.
ـ رأيت أنه من اللا أدب أن أقول له إنه ولي أمر زميل لنا !

قطرات الماء، تداعب الثرى،

الشمس فقط،

شاهد عيان،

رائحة الطين النقي

تدغدغ أحبال دماغي

كانت أمي تأكل الطين من الأرز الأبيض وهي"حامل"،

ربما هذا كان سبب سُمرة بشرتنا، لكنه ليس مبررًا لأنْ

يحجر أخوتي على أبي لبيعه قطعة أرض؛ ينفق منها حين

أصابه العجز،

هل حب الطين،

أم حب الدنيا؟

إنهم يجدون مداخل قوية لتبرير ذلك:

أرض أبيهم

لا يصح أنْ يمتلكها الأغراب.

قوانين توزيع الأرض

منذ الإصلاح الزراعي

لم تُفَنَّد.

يوم أنْ سقطت الحاجة حنيفة متوفية،
وُجدت النار صافية بجوارها
تدفئ أشلاءها.

سألته باتهام :
ـ لماذا لم يوزع عليها الإصلاح الزراعي قطعة أرض؟

هل كانت الحاجة (حنيفة) التي تعيش على هِبات الآخرين ليست من المُعدمين؟!
قانون توزيع الثروات،
على مر العصور العربية
لم يكن عادلًا.
ولتحيــا ثـــورة يــوليــو

البقرة الحمراء..
آخر ما تبقّى من عزّ أبي وبجده العريق،
ولو كنت ابنة لرجل في عنفوان شبابه
لكانت البقرة هي بداية تكوين قطيع من البقرات.
لم أُجيد التعامل معها إلا أوقات الشفقة الإنسانية،
كان من الصعب الجمع بين المدرسة وأعمال الفلاحة،
لكنها محاولة لإنقاذ شيخوخة رجل لم يُجِد فن ترويض أبنائه.
ـ هل خُلقت لأعمل ؟!
أم لأكتب؟
السبيل الوحيد للاستمرار فيما أريد أنْ أكون،
أنْ أتعلم.
ليس إيمانًا بأطنان الكتب الوزارية،
إنما...
لكون هذا
سيحقق انتماء بمؤسسة غير قريتي العفوية

مبني لبني أصفر،
هذا ما تبقّى من ذكراها،
اليوم الأول، والحصة الأولى، وبائعة الحلوى،
الغرابوية الكفيفة خالتي "ليلة"،
أعشار أحلام،
أبله ابتسام،

تشبه هناك ثروت،
وانتصار ذات مرونة وزي قصير وعينين مليئتين بأوصاف
لم أكن أعرفها قبل أنْ أقرأ جمل "محفوظ"،
بناية متهالكة يطلقون عليها أسماء عملاقة
يقولون إنّه كان بيتا وصنعوه مدرسة؛
لكني لم أره أكثر من كونه فرصة للخروج

كان التحامي بها طفيليًا،
في صباح يوم مخلوع من ذاكرتي تمامًا
عثرت مصادفة على ما يُثبت انتمائي للحياة
لو لم أجد شهادة ميلادي بكوم أوراق ضخم عند باب
"الزريبة"، لما كان لي شرف الحصول على شهادة.

ما فائدة كل هذا؟!

ست سنوات،

يقطعني طريق موحش مليء بالكلاب، والبوط على جانبيه، وأرض بور إلى ما لا نهاية.

صوت "طشّة" الندى على أسلاك الضغط العالي تشيب شعري،

أنتظر كثيرا؛ لأن يمر شخص قبل شروق الشمس ليصطحبنى إلى ما بعدها.

تتراءى حواديت أم هاشم بنت البربري أمام عيني، عن تلك المسكينة التي كانت تمشي وحدها فالتقطتها الأسلاك.

أنظر إلى العامود الحديدي الضخم ذي التفاصيل الكثيرة، مرسوم عليه: (الهيكل المخيف)

ربما كان هذا هو جسد الفتاة بعدما امتصتها الكهرباء

كانت تلك المرشدة المتطوعة تنصحنا أننا إذا صادفنا سلك كهرباء عار،

فلا نلمسه.

ربما لو لم أعتنق الحب
لكنت أقل فشلًا

ومع ذلك..
أتعامل مع متعلقات الأمل بنجاح.
شيئًا... فشيئًا
سأجد ما فقدته طيلة عمري

في الصيف
تتباعد الأشياء، إلا ناموس بلدتنا
ورقة .. وقلم،
أكتب ليلًا،
وأكتشف نهارًا،
أحلم ليلًا،
وألعن الأماني عند الاستيقاظ
في الليل مُتعتني،
بل ربما هروبي من النوم سببه حشرات سريرى المحشو
بقش الأرز..

كنت حينيئذ، قد بدأت أقرأ رحلات "جيلفر"
تحت توتة عجوز، تشبه أمي
بعد مرور خمسة عشر عامًا، نشط خيالي.
رحت أحكي لأبله سهام حكاية عشقي الأول،
ظللت ليالٍ طوال، أحلم بقبلته،
وأتمنى لو تتلامس أيدينا فقط،

وحتى أرهق كل أعضائي
أبالغ في التصور البريء
حتى يصل لمصاحبة إبليس.
وحين يأتي لزيارتنا..
أتصنع عدم الاكتراث
حتى تَصَوَّرني مجنونة،
وعندما يخرج من ليلي
يعسعس الحلم ثانية

فأراسله..
أكتب ما كان يجب أنْ أقوله
كأني فقط كنت أبحث عن قارئ،

كان "سارتر" يحسد كل طفل يُولد؛
لأنه سيعيش عمرًا مُقبلاً وهو ينتهي.
لكني لو خُيّرت بين مراحل العمر لاخترت أنْ أعيش منه
هذا الجزء الأخير؛

فالأول يُمثل حروبًا ومعارك،
بداية من هذا العِراك الدموي بشفرة مُوس حلاقة،
ونهاية بولادة قَيْصَرية بإحدى المستشفيات الحكومية.
كان يشبه الخشونة،
أو شَق الزجاج بآلة حادة،
أو حرق لفافة شعر.
بداية نبت حديقتي، ونهار بلا مؤشرات لذلك،
وحجرة باردة الجدران،

كل ما هنالك أنَّ عيونها كانت دافئة قبلها بساعات؛
لتستدرجني لهذا العمل،
تعدني أنّها ستزوجني ابنها...
كان الأجدر بها أنْ تُقنعني لماذا خلقنا الله بهذا العضو
ما دام لا يريده بنا..؟

تسع سنوات قضيتها، وأنا أدعو على هؤلاء؛
وأتقمص دور "فيلوتية" المطيعة؛ وأناجي الله،
لكن أبي لم يكن أبدًا "أورجون"،
بل كان مستمتعًا بصحته حينئذ.

حصلت على الإعدادية من مدرسة الظاهرية،
وجلس أبي بجوار ناظر المدرسة،
فرح الجميع، إلا أولاد عمي القاهريين،
كانوا هم الأولى أنْ يحصلوا على المراكز الأولى؛
هكذا كانوا يبررون عدم اكتراثهم.
لو كانت هذه الألقاب بحوزتي
لوزعتها بالتساوي على كل البشر.
إنهم يظنون أنّي أصنع تاريخًا لنفسي
وفي الحقيقة إنّي أبحث عن مَهْرَب،
عن جزيرة الفكر، عن أولى خطوات المعرفة
عند ربوة الكتاب المدرسي، الذي لم أجد فيه ضالتي
حتى الآن.

هل مِن اللا أخلاق أنْ أهجوَ أبي...؟!
ذاكرة محفوفة بالمخاطر،
لكنها حياة كلّ الأَسر ذات الذرية الضعيفة،
وأحيانًا أبي لم يكن يعرف طيق تقوى الله.
الخطأ الواضح الذي وَقع فيه؛ أنَّه على مَرّ تاريخه لم يفعل شيئًا صوابًا.
عَقد كل آماله على صحته فترة من الزمن، وحين أُصيب "بالغضروف"
عقد آماله مرة أخرى على امرأته؛
فأجلسها للأبد على ماكينة خياطة.
ربما لو كان لأبي أبٌ "سياسيّ"
لتعلم كيف يقود أبناءه،
لكنه كان "لينينيًا" بلا ثورة،
يحكي لي ليلًا أُصوله التركية،
ويفتخر نهارًا أنّه ساهم بمجهود عظيم لإنقاذ عرابى
وتبرعه بقطعة من أرضه لبناء "الطابية".
ـ مَن حمل لهم المصابيح لضربه إذن..؟
ـ البدو
ـ وكلكم أصول واحدة
حتى هذه السيدة التى اغتالتنى ظهر يوم.

سأفعل أشياء عظيمة عندما أكبر.
ـ ماذا فعلت..؟!
سبب فشلي كانت المقولات العامة، والنظرةالكونية.
أجري، يجري،
علاقة فطرية تلك التي نشأها طُول خيالي،
حُفرات الجير على الحائط الطيني تصنع فنًّا تشكيليًّا،
وزوجة عمي أيضًا تصنع فنًّا بتشكيلها "الجِلَّة"
بيدها النحيفة.
آخر قطرات الليل ينزفها جسدي؛ بعد طول خيال،
بداية من قُبلة بفيلم تليفزيوني،
ونهاية بمشهد جنسي قد رأيته بين أخي وزوجته.

دعني أيها العقل أحلّق بلا مَعقولية،
أنقاد خلف اللا ممكن فترة من الوقت،
ربما تنحدر النظريات قليلًا، فيسرى القلق بداخلي،
ليقابلني أحد غير الملائكة، وأكتشف أني
مازلت...

الاجتماع الأول.

كان ذلك في آخر عصر يوم غير مُمطر،
تتمايل فيه كافورتنا بدلال،
تتراقص معها عصفورة ملونة؛ تأتي عشها كل ليلة،
تكرهني لأنّي كنت ضدها عمرًا طويلًا،
لا تُقدّر انتمائي الجديد، يلزمني وقتٌ كثير؛ لأثبت لها
أنّي كنت أتعامل مع الكائنات بمردود معكوس القسوة،
ومع ذلك...
شيء جديد يحدث لي؛ يقنعني أنّ الإخلاص ليس إلا
حُجّة مُغرِضة، نستعملها أوقات.

يلزمني مجهود؛لأثبت أنّ الأوقات لا تمر،
بل نحن نمر عليها باجتهاد، بمبالغة،
كل هذا لأني اجتمعت للمرة الأولى بكتاب،
كان "حفريات المعرفة"*،

وكانت المرة الأولى أنزف فيها دموع الوجع، وكان
"فوكو" فتاي.

---

* كتاب لـ «ميشيل فوكو»

في منتصف الطريق،
"غيط" يشبه مقبرة الكون
مكتوب على أوراق زرعه: "احذر خطر الموت".
كان ذلك غيط أولاد عمتي.
كانوا هم الأقوى دائماً؛
المال... والبنون... وعُجول العَلَف،
وطفرة هائلة،
قرون الفول الحِراتى تنهض من رحم الطين،
حتى الفول يخشى رجولتهم.
"حمدي" مُتأبّد المدينة؛ يُتاجر في الأرضيات البلاستيك،
و"حسيني" يزرع الأرض بضمير،
و"جمال" يتعاجب بطول قامته
ويعوض فشله في الثانوية العامة
بزواجه من عزة ذات العينين الزرقاويتين.
كانت على وشك أنْ تعقد معي عهد صداقة،
فذهبنا نلعب "استغماية"

أختبأ أنا داخل طابية "عرابي"، تقترب مني عفاريت شهداء الهوجة كأشباح سينما ثلاثية الأبعاد،

أرتعد، أخرج مُسرعة،
لكنها ظنت وقت عشية
ـ وهي تتناول بعض اللبن الرايب ـ
أنّ ابن عمتي؛
من الممكن أنْ يعود لممارسة هوايته القديمة،
لكنه كان يجب أن يحدث بقانون
"الأقربون الأولى بالمعروف"، وأنا ابنة خاله.
ـ لماذا إذن لم يحدث ذلك؟!
سر إعجابي به؛ يعود إلى أنى كنت وقت ذلك أقرأ
كثيراً عن شخصية "عمر بن الخطاب"
وفى تحول عجيب؛ يوم سوق الأربعاء
لازمني شعور بأنه..
جلاد النساء.

أوجاعي،
إشكاليتي أنا فقط..،
كان يجب أنْ أخون العهود منذ البداية؛
فالمقدسات العملاقة
لا حُرمة لها إلا بمحذراتنا السابقة.
كان لا بُدّ وأنْ أظل..،
ليس للنهاية، إنما للوقت المناسب؛
فالإضافة تعني الخروج عن النص،

وأنا كنت مازلت
أمشي في فلك تلك المنظومة،
أقرأ التراث؛ ولا أجتهد،
ولا أضع البيض في سلة واحدة،
حين تأتي سيرة الرسول؛ لا بُدّ وأنْ أصلي عليه.
وحين تكره أمي جارتها؛ ألعنها ألف مرة،
وحين يُؤذّن الشيخ سيد؛ أتوضأ
وأقوم للصلاة ..

انتقلت من المبنى اللبني
إلى تلك البناية الأكبر
المدرسة الثانوية...
والطريق الأطول بلا أناس
عزبة العرب تنصف الطريق،
وبدو أراهم في مواسم محدودة
أتأملهم ...،
مزاج لعين،
اقترن بالورقة،
والقلم
والكتاب

"وسارتر" اللعين
الذي علمني بيع الأفكار.
وتلك البدوية..
تصنع الخبز العجيب بـ "النيفة" الفخار المحفورة بالأرض
ـ كيف كانت تصلي هذه المرة دون أن تتوضأ،
ـ ما مصيرها يوم اللقاء الأكبر..؟!

سأتعلم..كيف أرشق سهم الانتماء بجسدى،
كي أتفاعل بانسيابية
بعدما زجرت تلك الحُميراء
بكلمات.. مليئة بالقسوة
"لاحسة العيون".
تلك هي مهنتها..ومنها تعود آخر نهارها برزق كثيرلأولادها الخمسة
كم هو مهم أنْ نُشعل بداخلنا الإحساس بالآخر.
حين ذهبت لها في اليوم التالي لأبدي أسفى؛
لم أجدها..

ملابسها ساكنة على حبل غسيلهم الواصل بين شجرتين.
ابنتها الكُبرَىلها نفس الملامح، لكنها لا تستطيع التقاط رواسب العيون بلسانها كأمها.
كنت أريد أن أسألها
أو أقترح عليها
أو أبكى لها
أو أتركها تندثر بىّ
لكن....... ماتت لاحسة العيون
قبل أنْ يموت شيطاني

مع المدرسة الثانوية
"مُلحقة المعلمين".
لم يعلم أحدٌ أنَّ لي ابن أخت بها
يكبرني.
لا يشبهني على الإطلاق؛
لذا كان يأبى محادثتي،
ولا أنا أشبهه في شيء
سوى أننا كُنَّا سويًّا نكره هذه المدرسة
خلال ذلك الوقت.

ما فائدة كل هذه السنوات إذن..؟!
تزوجت إنتصار بعد "الدبلوم"،
ودخلت أنا "الجامعة" صباح سبتمبر الكئيب،
وازدادت المسافة بين كلٍّ مِن تل أبو حامد والزقازيق.
شريط قطار،
أسمع سيمفونيته يوميًّا.
اقترن ذلك
بهذا الشاب الأهبل طالب المعهد التجارى؛
يغني بهيستريا لجذب أنظار البنات.

وهذا المُدخن العبيط
يقص موقفًا بينه وبين دكتور المحاسبة؛
لينتهى في النهاية
بإثبات وجهة نظره
ننبهر..
يرى الفخر
حين يقرأ دهشتنا،
يتمادى في سرد حكاياته
مع طالبة بورسعيد
ذات السيارة "الرمادية"،
تنتهي القصة في النهاية
بأنْ تقع الفتاة في غرامه
لم يقص أحدًا منهم
حكاية غير متوقعة
لإثبات أنى ولَدت بالمكان الصحيح
لم أندهش
حـــــيـــــــــــن
لم أندهش

كلية الآداب
غادة..،وكافيتريا الكلية،
والشتاء،ورائحة الشاورما،
ومدرج (أ)،ومعهد الكفاية الإنتاجية،
وكورنيش الزقازيق،
والكبدة الجملي،
واشتراك القطار،وشارع البوستة،
وأنا..
ما بين السادسة عشر والعشرين
سلوى واحدة
الأحلام.. والأشجان
لكني لم أكن طموحة جدًا في العشق،
كنت أراهم كالفكرة الهيجيلية الشاملة؛
أساتذة يحفظون؛
ليقولون ما يحفظون.
وطلاب يستقبلون
والأمل بداخلهم يدفعهم للاستمرار.
وحب الصبي
ولوعة الفتاة
والأوقات تمر دون عناء.

من البشاعة ألا تكون فاضلاً؛
فالإخلاص في احترام موروثهم،
يثبت بقاءك في مجتمع الصالحين
برغم ملؤها قذرين،
إلا أنهم معروفون الأصل والفصل،
إلا "ممدوح"..
عبر ترعة الإسماعلية سابحاً
ليتسلل عبر الوادي الضيق،
ويرثوعند مقام الشيخ "حامد"،
وينقذ فتاة ابنة أم ذات ثلاث أو أربع أو خمس ...
فتيات.
ويتزوجها،
كان اسمها "سحر"،
مكثت سنوات تقلع "السمار" وتجففه،
وتبيعه في سوق أبو حماد
ليُصنع منه "حصرا".
كان لأبي صديق يصنع "الحُصر"،
ولما غطت "الحُصُر" البلاستيكية السوق كله،
ولم يعد أحد يشترى حُصُرَه
(مات محصورًا).

كل شيء صامت،
مللت هذا الهدوء..
أخطو نحو الطريق العمومي يوميًا
أقابل نفس الوجوه.
بعضها يحمل ملمحًا،
وآخر يجهد ذهني في الوصول لهويته.
أولاد عمي..
لم أشعر يوميًا بانتمائي لهم،
تلك الحميمية فاترة؟
الطريق الوحيد لخيانة رباط القرابة
كان الزواج.
لم أعد أراهم أهلي، صاروا أندادًا منذ استشعروا أنّي خطر.
كان تفوقي بمثابة العمر الذي ينقضي من حياتهم
فيومًا عن يوم.......
تظهر تجاعيدهم أمام عمي إسماعيل
الذي يعايرهم طوال الوقت
بأن لا أحد فرّحه ودخل الجامعة؛
فتقدم أحدهم لخطبتي؛ لإنقاذ الموقف،
وحسمت أمي هذا الموضوع للأبد،والحقيقة أنّي لم أكن قد رضعت من صدر مرَات "عمي".

مضى أكثر من ستة عشر صيفًا،
وفي كل ربيع أبحث عن حبيب آخر،
هل سأقضي هذا الخريف هنا أيضًا؟!
بحثي الدائم عن طرق للخلاص،
أرهقني..
وذات ليلة مظلمة
غازلتني رائحة الخُبز المَرْحَرَح،
ودخان الحطب والصفصاف،
طاوعتنى قدماى
وجدتها "سيدة" جارتنا
تحمي الفرن،
وتدفس "الجِلّة" الناشفة بصبر،
وشجبها لفتاتها التي صارت بعد ذلك صديقتي
يزاحم أذني.
ـ مساء الخير يا "عمة"
أنا أدري لماذا هي تحمى فرنها في ساعة متأخرة؛
فرغيف الخبز يضمر بأنظار المارة.
لم يكن بخلًا؛
بل كإخلاص "ديدرو" لمذهبه.

ومازلت أبحث عن ضرورتى الفعلية:
أمي تريدني أكثر من مجرد زوجة
وأبي يحلم ليل نهار
أن يراني أصافح "جيهان السادات"،
وأنا أرى نفسي طوال الوقت "دلالة"
تتخذ من معاني الأشياء رموزًا لها.
لم أحدد بعد كيف أكون
فعند اجتماعي بأعضاء حزب "العمل"
أنكش القضايا،
وأتوصل في النهاية أنَّ الحل في "الدين"
لكن "يسري السيد" يشعل مرجعياتي،
يقنعني بنهجه الثوري
أنَّ الفكر حجة لنا وعلينا،
وأنَّ "ماركيز" لم يكن فقط صائدًا للفراشات،
ولم يطلع "مستجاب" بصدق على التاريخ السري لنعمان عبد الحافظ،وأنَّ اليسار هو البديل الجديد لهوجة "عرابي".

يسقط من خيالي فجأة
هذا الماركسي، عندما أراه يمارس البغاء مع صديقته المحامية بلا زواج.

الصورة الذهنية كانت دائمًا أكثر عمقًا،

ظهر ذلك جليًا حين أصطحبنى ابن عمتي الأكبر لزيارة معرض الكتاب، للمرة الأولى.

كانت الوهلة الأولى.انطباع غير سار،

الكاتب الكبير الذي كان فارسًا لخيالي

لم يكن أكثر من كونه إنسانًا عاديًا، يرتكب الأخطاء دون استغفار، سأعرض عن هذا الاندفاع للأبد.

إنّهم يتحدثون كثيرًا،

ويفعلون قليلًا.

المثالية قناع الزيف تحت أغلفة الكتب العملاقة،

ليسوا أقل إجرامًا من سكان بلدتي

إلا أبي..

لو تعلّق أبي بالفلسفة لصار "سارتر" آخر،

ولو كتب فلسفته لكانت صورة ضوئية لفلسفة "جون ديوي" المَنْفعي مسافة شاهقة بيني وبين روسو وفولتير وهولباخ حتى من ظننته حبيبًا!لا يُعرف مَن هم "هؤلاء"..؟

ربما أكتشف أنّ هؤلاء أيضًا ليسوا "هؤلاء"!

حين أكتشف ذلك؛

لن يكون هناك خيار آخر للحتمية

أصابني ذلك بغرور غير مقصود،
لكنه يأس متعمد من أدغال ما هو محيط،
فلم أستطع نسيان مآساة أهلي؛
لأتقمص دور "سندريلا" جامعية
تعتكف طوال الليل على ماكينة الحياكة.
- ألنفق مصروفي على شراء مجلة أخبارالأدب..؟!
أم أتظاهر برهة من الوقت أمام طلاب قسم الإعلام
بأني من أسرة ميسورة الحال..؟!
وبرغم أحداث كثيرة
أعود في النهاية إلى تل أبو حامد بقطار قشاش، يشبه "المصلحة" التي تنظف بها أمي فرنها.
ويعودون هم بمحاضراتهم لبؤر تقليدية
لم يسألني أبي ما هذه الكراسات
ألأنه كان يثق في عقلي أكثر مما أظن!
أم أنه لم يكترث بشيء مطلقًا؟!
مسألة وقت وتنتهي هذه الأيام بسلام.
كنت أنوي حين أعبر هذه السنوات أن أتجنب أخطاء عظيمة.

كنت أحتاج لدعم شديد؛لأثبت أنَّ هذه الريفية الساذجة تقرأ "هيدجر" بانتظام،

كانت مهمتي
محاولة موت أفكاري،
مات قبل أنْ أصارحه أنْ يومًا ما حلمت أنْ يكون حبيبًا لي
من حقي،
فأنا "أولى" بابن عمي
كانت له عين "معيبة"،
لكنها ليست في مثل أشياء "كيركيجورد"

أهناك علاقة..
بين ما نفقده
وما نمتلكه من خصوصة؟!
أجري،
يجري،
يقطع سيلي المنهمر،
نقضي ليلتنا في المداعبة
مداعبة فقط،
ثم ماذا؟!
لا أعلم.
لا أحد يفهمني، ماذا بعد ذلك؟
كنت دائما لا أنفق جهلي.

جاء موسم الحصاد هذا العام مبكرًا،
ومازال صدري مجبرًا لا إراديًا،
سأزور هذا الطبيب القبطي هذا العام
ليس جديدًا،
"حُمى القش"
أدوية تعودت على إبرازها لصدري حتى يهدأ.
صوت الدرّاسة
عالق بأوتار ذاكرتي.
بدايتها
كيف نضجت، وأحببت،
مع تروسها يحتضني العنف،
حين يبالغ حبيب المراهقة في قبلتي
حتى نهاية الليل.
لا أنام إلا عندما أسمع صرير القمح المنقى عن التبن،
نتمرغ فيه نهارًا،
أختبئ في حفرة غامضة،
يمسكني من أصبع قدمي
الذي نفض التبن
فظهر.

حاولت أمي أنْ تجردني من أفكاري
وتسلبني هذه الكونية غير اللائقة
وهي مثالية قديمة،
تصنع لكل واحدة جلابية فلاحي بكل عيد
أجلستني أول مرة على ماكينتها؛
لتستميلني لمهنتها،
لكن حلم المعرفة
كان أكبر من فعلها،
فظلت هي وأبي
يصنعا حُمقًا غرائزيًا
دون أنْ يدريا أننا كنا نصحو مفزوعين على
صوت مزيكة السرير العمدان الآيل للسقوط.

ذات ليلة
شعرنا بتغامزهما،
عرفنا أنها ستكون ليلة حمراء
على أنغام سريرهما،
فتسللنا نسرق كيزان (الذرة)
من غيط حسن أبو إمام،
ونشويها

ونأكلها،

ـهل سيدخلنا الله النار كما قال "سالم"؟!

ويترك "إبراهيم" الذى وعد أختى الكبرى بالزواج

وتخلى عنها كموقف هنادى فى فيلم "دعاء الكروان"؟!

لم يكن قرار جلوسي على ماكينتها، إلا كتضحية هذه

العذراء بزواجها من رجل يكبرها بسنين

لإنقاذ عينا امرأة تلملم الهواء؛

لتصنع ثروة قومية.

حين رأيتها تستعطف الإبرة لِلَضمِها؛

قبلت يدها،

وجلست أدير برجلى ماكينتها، وألاحم القماش

ودمعاتي مُتَحَجِّرة

في لحظة تشبه دراما مسلسل تليفزيوني،

لكنها حقيقة.

لم أكن ملحدة،
حين قذفته،
وسببت دينه
فمن حقى
أن أدافع عن حجرتى التى كان يحتلها
عند مجيئه إلينا
الشيخ "أبو عبد الله"
رجل الدين الأول
وعضو مجلس الأمة
يمثلنا بالبرلمان،
ويمثل نفسه
بمَوْلد والده
الذي أقامه عند قبره
في البر الشرقي لترعة الإسماعيلية
ببلدة تبعد عدة كيلو مترات عن بلبيس
كنا تابعين إداريًا لمحافظة الشرقية
وسياسيًا للشيخ الجليل

ليس جبنًا مني
لكن كنت متأثرة بعناصر المفاجأة والمباغتة

للطبيعة الغادرة،
كانت تتكوم هذه الأقصوصات برأسي
حين كنّا نعبر
البر الآخر للمولد بمركب صغير
يهتز..
يتمايل،
لا أنشغل بأضواء المولد في الجهة الأخرى،
لكني أبكي وأقول:
ـ هنغرق
ـ هنغرق

كنت أصفه بسائس رهباني
حين كان يجمع الهبات من الفلاحين
كذكاة لإقامة المولد
اتهمته بأشياء كثيرة،

لكنه ظل يسأل عني
حتى مات.

كم هو ضروري
أنْ يكون لك أخٌ!
استولت عليه "رابعة" منذ سنين
بعد أنْ ترك حجرته بمنزلنا الكبير،
واختار السكن بعيدًا،
أطلقوا نسوان البلد لقب
"العَزلة"

قبل الحداثيين بسنوات
حين أشاعوا
أن ابن "حسن أبو محمد"
إنعزل عن أبوه
ظللنا لوقت طويل نطلق عليها أوضة "متولي"
لم يقم بدور الأخ كثيرًا،
إنّما أجاد دور العدو
حتى مات.

حلمت لوقت كثير
أنْ ينتفض من مؤثرات زوجته وأهلها،
وينتمي إلينا ثانية،

ويصد هؤلاء الأعداء عنا،
لكنه
لم يفعل ذلك
مطلقًا.
مات وهو يكافح.
لم أحضر جنازته،
إنما استحضرت صبرًا على فراقه ذلك المشهد؛
مشهد جَلْدِه لأختي الكُبرى
بحزام الجيش.
علّمته الحربية
أنْ يكون قاسيًا باستمرار،
لكنه كان يجد مبرّرًا.
القانون العسكري
يحكمنا منذ قيام الثورة؛
فلتحيا الثورة،
فليحيا
الضباط
الأحرار

لكوني هكذا..،
بتُّ مشروعًا نسبة نجاحه ضئيلة جدًا،
لماذا أتعلّق به كالطفلة هكذا..؟!
هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا،
ما الذي أيقظ بداخلي هذا الكم الهائل؟
وغيّر أيدلوجياتي نحو مفهوم الشجن؟!
كان نوعًا من الهروب،
من الليل، والشتاء، ومرتبتي المزعجة،
وصياح أبي وناموس منزلنا،
وجزيرة القطن التي تقطني
هروبًا إلى الأسوأ،
قلبي يؤلمني، وقلمي ينزف حروفًا
حين أعيد سماعها لنفسي
أسخط على هذا الحب الذي علمني
ألا نكتفي بأن نكون سعداء،
بل لا بُدَّ وأن نسعد في وقتنا.
كنت سعيدة، ليس لأني وجدت رجلًا،
بل لأنى عثرت على مفهوم الوجود داخل رجل.
كان لا بُدَّ وأنْ أؤجل هذا الصراع قليلًا
وأضع رأسي على صدره.

فاطمة بنت الشيخ سيد، صديقتي الوحيدة،
برغم قصة أختي الكبرى مع قريبها،
بداية من زواج غير متكافئ،
ونهاية بمبررات قوية لفك الارتباط،
كانت تتمنى طفلًا لتربيه مثلما يكبر
بطها البلدي بجوار
وابور الجاز وطشت الغسيل الألمونية
وطُلقت لذلك
إلا أنَّ..
فاطمة ظلت لوقت طويل
صديقتي التي لم تفهمني،
وحين أوشكت على مصارحتي ببداية عهدها لي
أودعتني ربع جنيه، مازال معي حتى الآن.

لو أعلم أنَّ فرق الدرجات في الشهادة الإعدادية سينصرني عليها أمام أمها؛ لما نلت شرف الحصول على المركز الأول في الشهادة الإعداية
فلم أكن أعشق المواد الدراسية،
لكني أحترم فرحة "أبي" بتفوقي،
أراه طوال الوقت مناضلًا يشبه "جان ميسليه"،

لكنه لم ينتقل من التأمل إلى الفعل،
كان يدفعني باستمرار للكتابة،
بدعوى أنه شاعر أُمّي قديم.
اكتشفت بعد ذلك،
أنّه كان يقتبس أشعاره من قصص أبو زيد الهلالي،
أورثني "منشوراته السرية"
التي لم تطلع عليها سوى نسوته؛
فَرُحت أصنع قوانين تمحو الفقر والجهل.
كان لا بُدَّ من مُدَافع قوي
فحتى الأفكار تموت بلا سند.
ماتت فكرتي بموت أبي،
ورحت أسرد لنفس سُبل الخلاص مرة أخرى،
بعيدًا عن الاعتماد والتوكل؛
فالخراب يحوطني يومًا بعد يوم؛
ورطتني أحلامي المثالية زمنًا كبيرًا،
قبلها بساعات كنت أحفر مجارى لتجاعيد وجهى،
ولا أقبل كل الرهانات.
فرق كبير بين المكسب والخسارة.
أنتظر مجيء فارسي عند توتة قديمة وراء منزلنا؛
ليجدد الأحلام.

يريدون مثالية مفرطة،
هل تستطيع أنْ تكون
صالحًا
وأنت جائع..؟!
كان هذا الموقف النبيل يحدث يوميًا
بعد كل أذان
يصلون،
ويخطب فيهم الشيخ سيد كل جمعة،
ويسرق ابن الزعبلاوي جزمهم
أثناء الصلاة،
ويبيعها.
كنا زملاء دراسة

وحين كنت أشبّهه "بجيفارا"- يقول لى
– بتشبهينى بكافر يا بنت أبويا حسن؟!
ذات مرة سرق "جزم" أولاد أبو إمام فقط؛
كانوا يُقرضون الفلاحين المال
"بالفايظ" حتى الحصاد،
وعند الحصاد
يأخذون نقودهم مضاعفة.

أقام الشيخ سيد عليه الحد
إرضاء لكبراء البلدة وولاءً لـ:
أولاد أبو إمام"؛
فهرب الولد
بعد أن سرق حذاء الشيخ "سيد" نفسه.
غاب سنوات،

عاد،
ممتطيًا سيارة فخمة
وأحذية كثيرة،
وزّعها على حُفاه البلدة،
وبنى مسجدًا
أسماه مسجد الزعبلاوي.

«أي رعب يمكن أن ينتاب رجلًا كان ذات يوم طفلًا
صغيرًا، يرعى قطيعًا من الغنم في سهول
«جوتلند»، وعندما أحسّ الجوع والعذاب والحرمان؛
تسلق ربوة ولعن الله»
كيركيجورد

بيدي الأخرى فحل التوت الأحمر، اقتطفته من فرع بعيد عن الناظرين،هواة تسلق شجر التوت، لم يصلوا إليه،

لكنني بنحافة جسمي

كنت أصل لأبعد النقاط،

أشعر أنّي متفردة في هذا المكان العالي،

وأنّي أمد ببصري إلى أبعد مدى؛

لأرى ما لا يراه الخلق جميعًا.

قلت لأبي:

ـ أشعر أنّ هذا الكون مترابط بأوتار،

وأنّه يعزف لحنًا وضعته الملائكة،

وأنّ هذه المنطقة السوداء بالكون؛

ربما هي "الغيب" بما فيه الجنة والنار

قال بواقعية:

ـ طيب نشتريلنا حتة أرض في المكان ده.

كان لجدي شجرة "جميز"،

وعندما تسلقتها، سقطت فروعها "بي"،

لماذا سقطت بي؟

كان هذا إثباتًا أنّ:

«القوة هي التي تنتج المعرفة»

ميشيل فوكو

شجرة النبق
التي كانت على مقربه من بيته
لم تَبُح لي
لماذا جدى
كان نحيفًا جدًا؟!
جدي عن الأم، وكنت أناديه بـ "سيدي"
كان يؤكّلني لسان الجدي،
معتقدًا أنَّ ذلك يجعلني
مُتكلمة بارعة،
حطمت نظريته
بانتسابي للكتابة.

شجرة النبق....
التي كانت على جسر ترعة بمقربة من بيته
لم تُبح لي بسر زيجاته الكثيرة.
أعتقد أنَّ جدي لم يكن رجلًا عاديًا،
مصاحبته للإنجليز
وعمله بالكامب الإنجليزي،
والصفقات التي كان يعقدها معهم،
تدل على أنّه

إما أن كان بطلًا قوميًا بلا سلاح،
أو ربما كان مواطنًا عاديا جدًا
وأنا التي أراه بمبالغة
كدفاع "عبد الرحمن بدوي"
عن الزمان.

شجرة النبق ......
التي كانت على جسر ترعة بمقربة من منزله
لم تبح لي لماذا يطُهر النبق فمنا أربعون يومًا ؟!
مرض بعد أنْ أخذت منه الحكومة أرضه في مشروع الكوبري الواصل بين البر الشرقي والبر الغربي لترعة الإسماعيلية.
وهجرته أصغر وآخر زوجاته
"محضية" ومعها الثلاث أبناء.

شجرة النبق...
التي كانت على مقربة من بيت جدي
ماتت هي أيضًا
وفاءً لجدى.

لم أكن مُصلية بارعة،
إن أديت صلواتى بانتظام
لن أجد وقتًا لأفكر
لأقرأ،
لأكتب
لا يكفى التأمل فقط لماذا؟!
كيف أقنعهم ليكفوا عن نصائحهم البالية؟
كنت أجتهد،
لكن الشيخ "سيد" والحاج "عبد الرحيم"
أغلقوا حق الاجتهاد
إلا ليلة أن أذن الفجر فى الثانية عشر مساءً.

بكي قائلًا:
ـ أمي نادتني قُوم يا عبد الرحيم أذّن الفجر.
حين بدأت تجربتي الإيمانية؛

سألت:
ـ ما الإيمان؟
إذا كان الله يؤمن بذاته،
فبمن نؤمن دون أنْ نرى ما نؤمن به،

لكن شيئًا يحدث لي:
أنشد التحرر العقلي، التجرد من كل شيء، أنجرف تارة
لهؤلاء الملحدين، فلاسفة الغرب،
وأعود بسرعة مستغفرة الله
وكأن التفكير كفرٌ.
لا تشبعني هذه الكتابات العربية،
ولا يقنعني منطق «الفطرة»
الذي يختبئون تحت أنيابه،
إنَّه نفس موقف «متَّى المسكين»
هل كان مسيحيًا
أم مسلمًا؟
ارتديت الحجاب،
فلا أضر أحدًا بإخلاصي لديني،
لكن الفكر
مازال حِكرًا لليساريين،
والدين
ملكًا خالصًا لهؤلاء الإسلاميين،
وأنا
أريدهما
معًا.

برغم قصص الحب التي تناوبتها،
إلا أنّى في النهاية،
تزوجت "محمد".
هجرت ليل قريتي في يوم أمارته شديدة بأغوار أنقى،
كان موسم الحصاد،
كنت أدري تمامًا أنّه سيكون موسمَ هروبي،
كلما اقتربت أضواء المدينة
خفق قلبي بانفعال،
وأنا أنضج بحذر.
أخطط لأشياء كثيرة،
فهروبي بهذا الزواج لا بُدَّ وأن يكون بفائدة.
سأبعثر أحلامي القديمة على هذه الرمال الصفراء،
وسأدخل هذه المدينة وكلي معبنة بأفكار التحول والصعود، والبحث عن جوانب النقاء،
سأحلم مِن جديد بإعادة تغيير الواقع
وأسكن فوق المستحيل،
كل النظم محاولات تقريبية لتحقيق السعادة،
إلا نظم بلدتنا،
هل سأجد السعادة هنا؟!

مرَّت الليالي الأولى،

وأنا أثبت لزوجي أنِّي بارعة،

لكنه لم يكن يحب الاجتهاد والمبالغة؛

كان مثقفًا.

سأروي له ليلًا تفاصيل نشأتي،

سأقول له: إننا قضينا أيامًا لا نجد كِسرة الخُبز الجافة،

لا .. لا ربما يُعَايرني بفقري يومًا ما،

بل سأقص عليه أنِّي حتى ليلة زفافنا

لم أكن قد رأيت عُضوًا ذَكَريًّا.

لم أر الدهشة في تعبيراته،

كان منشغلًا أكثر بالثقافة والفلسفة والعلوم السياسية،

لم أستطع الاندماج مع أسرته،

انفعل حين شكت له أمه مني قائلًا:

ـ أمّال أنا جايبك من الفلاحين ليه..؟!

قال: إنه عندما تنازل وتزوج من ريفية كان يأمل أنْ يُؤمن جانبًا يُقلقه، هو لا يدري أنَّ أبويه لا يرضيهما أي شيء في الحياة.

كبرت،
وانقضت طفولتي دون قفزات،
سوى بضع تأملات،
ومحاولات،
وإخفاقات.
تزوجت
كانت التجربة الوحيدة التي لم أحصد منها
«كلمات» أو «أفكار»
كل أوقاتي استهلاك لا جدوى منه.
إنهم يرون كيف أبدِّل تقاليدي
كيف لم أعد أعَطِّش «الجيم»،
وأصنع «الباشميل» بدلًا من «الفَتَّة»
شيء وحيد ظل فاقدًا لقديمه
لم أمارسه إلا في خيالي
هو أيضًا طيلة الثلاثين عامًا
مثقفًا
ليلة زفافنا لجأ لصيدلي لينقذه
برغم سنه وثقافته،
يجهل دخول كهفي
فكان لا بُدَّ وأنْ أظل عذراء.

وصلَ الصِدام بيني وبينها إلى هذا الحد،
ولستُ «عائشة» لأبرأ من وحي إلهي،
بل إن زوجي لم يكن «محمد».
حادث «الإفك» هذه المرة له تفاصيل النهار،
للعواصف أيضًا عواصم
ملامحها سوء فهم عارم،
لم تعلمني أمي فنون الدفاع عن النفس،
لكن أبي بسلبيته
علمني ألا أرهق براءتي في سرد التفاصيل،
اختار معي الهروب
بعدما «حكّم» ضمير الزوج؛

فاكتشف أنّه مخططٌ المقصود منه التخلص منّا لاستغلال شقة الزوجية بمنزلهم العائلي؛ عقابًا لأنّى لست زوجة الابن المطيعة على الدوام.

ـ هل صدقني "محمد" حين حلفت له أنّي لم أرتكب إثمًا في حق الفضيلة..؟!

كانت هذه
هي المرة الأولى
لم أشعر بقبلته الساخنة هذه من قبل..
حين صعدنا ربوة الحب الانفرادي
بعيدًا عن مؤثراتهم
بدت للحياة
وجه ملائم،

هو أيضًا
أعاد قراءة ذاته مرة أخرى.
زحمة الأحداث
كانت سببًا
في حالة الاكتئاب التي تخصه.

أنا أيضًا..
ثبت لحن الهدوء بداخلي
بلون الأمان.
نفض هذا الحزن قليلًا
كأنّه كان حَمَامًا زاجلًا
يحمل رسائل البشرية كلها.

اقتربت منه..
طاوعني بهالات عينيه،
يترقب سُبلى
الوصول لمجاريه.
كان شديد الكبرياء، حتى في رغباته.
أزحت هذا الملل بيدي.
عاد يسكن جسدي
مرة أخرى
بلا فروض،
استقلت من حكومة العُذرية في ليلة صافية
كتلك التي قامت بها الثورة الفرنسية.
قرأت كثيرًا لأحاوره،
وأحببت الفلسفة
لأجله،
وتعلمت كيف أكون سياسية،
أعتزل "محمد" دنياه الخاصة
لأجلي؛
ليشبعني
حبًا
وثقافة.

رومانسية الحلم فيّ مستحيلة،
وهذا المستحيل أيضًا له قوانين.
راقصني على أنغام موسيقى هادئة.
أين صديقات البلدة تريثّي وأنا بجوار البحر أقلد أجواء
أوربا في شتاء البحر الأبيض المتوسط،
حيث الضوء الخافت
نابعًا من مكان مجهول،
يؤهلني ذلك لأن أكون النغم التائه في أحضان اللحن،
يداعب بأنامله شعيرات جبهتي.

رائحة برفانة المعبق،
تشبه رائحة الأشياء المتراصة في حضن شجرة عجوز.
يقص لي حكاية من نهايتها؛
ليرى وقع الدهشة في لهفتي،
لكنه كان يريد أن يرى حيرتي.
ـ أعدك لأن تكوني شاعرة.
ـ شاعرة باغتيالك لي

لم يكن ذلك يحدث كل ليلة
بل كل ساعة

أدير حوارًا ذاتيًا في غيابه
لأقصه عليه حين عودته ،
يطغى العناق على كل الأفكار
كان ينشغل بأعماله،

ثم يعود كمياه تتدفق من أعلى لمجرى النهر،
حتى صنعنا دهرًا
من المشاعر
بلا أحداث

شبق السعادة يكسوني
لكنها لا تكتمل
إلا بالكتابة.
ـ دعني أكتب.
ـ بل سأساعدك.
قصّ علي قصة الحضارة،
وكان "ديورانت" ثالثنا كل ليلة.
هذه مداعبتي
وأنا أسكب فلسفتي
برموش مبتلة.
يلاحظ سائل يتدلّى من أنفي.
ـ (لازم بردتي، البسي حاجة ثقيلة).
ـ أريد أنْ أظل عارية أمامك،
لتكتشفني مرة أخرى.
يقبل كل قطعة بجسدي.
شاربه ينبش ذاكرتي،
أبكي،
يلتقط دمعاتي باقتدار،
يسقيني كوبًا ساخنًا،
يحدثني عن نيتشه،

وهيجل
وحسن حنفي،
عن معجزات الرسول، يحمّسه مرة أخرى
ما يعتريني من انبهار،
ـ آأنت حقيقة أم حلم؟!
قال:
أنا "سيزيف" الأقدار.
كنت حنيئذ .....
قادرة على تضليل الأقدار،
وكان هو يبحث عنها
وسط المعانى
كومة المستقبل وحدُها
تنفض دخان الماضى،
نلهث جادين،
مُعبأين،
وكنت حينئذ.....
أعتقد أنّ بعد كل ليل، نهار.
وهو أيضا،
قد بدا يجدها امرأة كأنها أمل،
بحر،

أو نهر،
نرسمها سويًّا على جدران المعاني،
يقترض من ألواني اللون "البينك"
أخالطه بلعابي؛
لأرى لوحته القدرية،
وكنت حينئذ .....
عاشقة لجمهورية الأسرار.
وهو مازال هذا الفنان المتشرد.
رسمني البحر ليلًا،
يعني الانبهار والخوف،
وكنت حينئذ.......
قد بدأت أؤدي صلواتي باقتدار.
صلواتي لم تكن ركعات،
هي كلمات،
إنّها الكتابة المارقة،
تُدفئ جدران حجرتنا،
تعقلها فلسفة العشق،
وحدة الوَجد
قادر على إيجاد تلك اللا عدمية.

كنت حينئذ....

كلما أنتهي من سطر

أذوب بمعنى الاختصار.

وهو قد بدأ يعلمني:

ـ كيف أغزل "بنية"

ترتبط بعقلي

وفلسفته

أشد الارتباط.

كان يلزمني مجهود ضخم؛

لأعكس له قراءاتي،

وأثبت أني قادرة على استيعابه،

لكني..

لم أكن حينئذ....

قد جربت

آلام،

الاحتضار،

ذرة شاردة من معنى العشق
تتخطى كل السدود،
تعاند،
تجابه،
تُذيب بسخونتها أنصاف الحدود.
هذه الذَّرة كانت نقش أطروحته
على جدار معبدي.
تهويمات،
مفردات
على حافة مرقدي،
تلاحمت بفعل أكذوبة الصمت،
تكونت،
تراكمت،
صرت أمًّا ليلة أنْ كان أخدود الغرام يسيل بي،
ليلة أنْ كُنَّا نرسم مخططًا للسطو على القوانين.
ترك بداخلي نفسه،
وراح،
يحسم،
قضايا أخرى.

أنجبت طفلتي الأولى وأنا أقرأ "الحياة السعيدة"،
كانت هذه آخر مرة أصف لصديقتي شبه المثقفة
من هو "برتراند راسل"..؟!
شعرت بالجوع بمجرد الولادة،
نهضت أغسل وجهي،
تحملني "التمرجية" بين ذراعيها وأنا أضغط على فكي بقوة هائلة،لم أجد شيء أتناوله سوى ساندوتش الكبدة من هذه السيدة المجاورة.
كان هو قد بدأ..
التهمته المسئولية دون إذني.
حتى الآن،والمطر يغازل زجاج الشباك،
لم يأت "محمد" ليرى أسطورة الفجر.
ابنته،
على شكل سماء مغسولة بالندى،
تسجد مع ولادتها للحن،تائه في أحضان الغد.
حضر..
قبلني وهو يحملها،
احتضننا معاً،
أسقط أوجاعي،
صرنا ثلاثة،وصارت لنا قضية مشتركة.

كان يعدني كثيرًا..
بأنّه سيحملني يومًا ما لملامسته السماء
بعدما يدبر إيجار الشقة هذا الشهر،
وأنّه سيُتم بحثه عن "أزمة التنوير"
عقب انقضاء هذا الشهر.
هل كان واقعيًّا..؟!
أم كنت حالمة..؟!
سننفق مما ندّخر،
لا تتركني لتبحث عن عمل إضافي،
أنا لست مُنتهى
أنا ابنة أسرة اعتادت طعم ما يكفي للحياة.
ـ حدثني عن "الوجودية"
قبلها لا بُدّ وأن نعرف:
هل سيكفي مصروف الشهر.
تبكي طفلتي،أجرى،
أعود،أختصر جُملًا كثيرة،

أخلع نظارته، أجفف حول عينيه من أرق،أدلك له ظهره بثديي، تسترخي عضلاته مستسلمًا لصيرورتي الأنثوية، تتوه مخططات إستراتيجيتنا على صفحات الملاية الميكي ماوس.

هل كان لجوؤه لهم مرة أخرى "واجبا" بعد ما فعلوه؟!
هل أهرب به أبعد من ذلك كي أنقذ أسرة تحتضر؟!
كل مرة يعود منهم
أتلقاه مبعثرًا،
لا يحتوي إلا القلق.
عيناه الواسعتان،
تميلان للانطفاء،
ترتل شدو العزوف عن الحياة
أمتصه مرة أخرى،
أبشره بمولود جديد.
- هتسميه إيه يا "بابا"..؟!
- مش مهم.
شيء ما سكت بـ"محمد":
الثورة،
الانبهار،
الجدل.
- ما تزورهمش تاني..
لماذا يعاقبوننا؟!
لماذا يقتلونه؟!
هل لا بُدَّ وأنْ أتدخل..؟!

لم يهدأ إلا بعد أنْ رأى وجه ابنتنا الثانية،
أنجبتها نهاية شتاء،
كانت المفاجأة الوحيدة
جمالها..،
عدت بها؛ لأجده يشعل سيجارة مرة أخرى،
ويرفع رأسه لأعلى،
وساقه ممدودة على المقعد المجاور.
- هل زرتهم..؟!
لم يعد يجيبني.
كرهت كل الإجابات،
وكرهتهم هُم أيضًا،
أفسدوا مقترحاتي،
وعبثوا برأسه من جديد،
لا بُدَّ وأنْ أصافح عقله ، وأعتنق أيدلوجيته،
وأهرب،
ونهرب،
إلى حيث ...
ألى أى حيث
لا بُدَّ وأنْ تتلاشى الانطفاءات،
فور حدوث النهار.

حصانتي لم تكن مستديمة؛
فكانت محاولات الدفاع عن النفس
كمن يهاجم بلا سلاح.
أغلق "محمد" هجرته على نفسه،
وأغلق أذنه،

واختار موقفًا معاديًا لكل شيء.
حاولت إعادة الخطوط الملتوية؛
لأرسم أسرة من جديد،
لكن حجم المصالح كان أثقل.
هم يتنافسون على البقاء،
وهو ينافس على المفهوم بلا منافس.

مرض "محمد"
ولم تدمع عينا والديه،
ولم يزره أحد منهم.
صمت للأبد،
وأسكته هذا اللعين.
هل سيموت..؟!

لم يكن "محمد" رسولًا،

بل متأملًا

يحاور رواسخ جبلية.

وحين يحتدم الجدل بينه وبين الكون يبحث عن عود ثقاب، ويشعل سيجارة مؤجلة بضع ساعات.

لم أفسد هذا المزاج بينهما،

وإن كنت ندًا لها فترة من الزمن.

كان يجد في حرقها ما يجب أن يفعله مع أعدائه،

وفي النهاية اكتشف أنّ أعداءه كانوا يقوون بدخان سيجارته.

كيف تسلل هذا الملعون لعقله..؟!

كانت كلحظات ما قبل الموت،

نشتد قبل السقوط؛

لنجابه قليلًا هذا المارد الغامض.

لنعيد على فهمنا معنًى آخر للفَقْد

فلم نجد له "بُدًّا"؛

إن أكثرنا معانيه؛

لنصبر

نصبر،

ثم يأتي في النهاية "اللا بُد"

كأنّه عدة أوراق متساقطة

خلف معاني الإهمال،

تتناثر مُحلقة كروح محمومة،

تذكرني بتأويل "أفلاطون" عن الروح الإنسانية

التي هبطت نتيجة ارتكاب الخطيئة،

هذه النظرية كان قد قصّها علي ذات ليلة

وهو يداعب شعري،

وهذه الأوراق كانت عبقرية رجل،

لم تحتفِ به الدنيا حق الاحتفاء.

جسد ممدود،

يبعثر الكلمات،

تتساقط منه قطرات الماء وهو يحتسيه،

أنظر إليه..

هل هذا العقل ما كان يرسم على ثقافتي لغة

شديدة العمق..؟!

هل هذا "محمد" الذي كان يعلن بثورته

الفكرية أنّه قادر على إنشاء نظرية كونية؛

لإنقاذ البشرية من هول "المصير المحتوم"،

هدّه السأم،

واغتاله المرض.

حين أيقنت أنّ الإنسان
مهما كان
حالة
مجرد حالة أم الطبيب..؛
سألت:
ـ أين المفردات الأخرى؟
هل هذا المعالج قرأ ما قرأت يا "محمد"؟!
هل كتب ما كتبت؟!
هل خط بفرشاته نقوش النتوء،
وجادل أبطال ما بعد البنيوية؟!
وماذا أدّت الحداثة بنا
أو وضع تصور لارتداد الزمان؟!
هل هذا كان..؟!
لماذا إذا تتركه يعبث بك،
ويطبق نظريته الطبية..؟!
حقا للأخلاق قطبان،
وللقدر مكيالان؛
وإلا ما مات "محمد".

هل هناك حكمة وراء ذلك؛
انشطارنا ظُلم لي فقط
فمن يختار،يحظى بلذة الاختيار.
أأبكي..؟!
أم أدّخر حُزني.
دمعاتي مُتحجرة،وفؤادي مريض،
من سيشملني..
وأنت صدري؟!
وماذا سأفعل أمام تلك النظريات التي بثيتها بيّ؟
دون أنْ أدري؟!
كيف سأكون..
والعالم يتربص بي،
ومأزق البقاء يظطهدني
أشاهد غُسله؟!
لا ملائكة تحملني إلى روحه، جسد فقط
سيصبح بعد ساعات،حفنة تراب.
سيذوب "محمد" في مكان مُوحش،
وسأتركه هناك بلا إضاءة،
أو قلم،
أو كتاب،

خذني معك حيث تغدو،
فلم يعد في البقاء أسرار لأعيد اكتشافها.
انتهت معك أسطورة
المسكوت عنه.
قال فلاسفة "اليونان" كل شيء،
وأنت أيّدتهم بهزة رأسك العارضة؛
فاتهموك بالإلحاد جهلًا
خذني معك حيث تغدو،
لماذا تريد أنْ تتركني وحدي!
أصرخ فيهم..
أم أبكي عليك،
أم أنبش مقبرتك لأعيدك مرة أخرى؟!
خذني معك حيث تغدو؛
فأنت تختار المواقف شديدة الدّقة.
لا بُدَّ وأنك وجدت في هذا العالم الآخر
ما كنت تبحث عنه:
الجنة،
أم الفلسفة،
أم قوانينك المجنونة،
حتى إنْ كانت النار فخذني إليها معك حيث تغدو.

يا إلهي:
لم أعد أستطيع الصراخ.
صرخت كثيرًا ولا أحد يسمعني.
قل لي :
لماذا خلقتنا..؟!
لماذا قذفت بنا لهذه الدنيا
ألتعذبنا..؟!
ألنمثل لك مسرحية نكون أبطالها وأنت المُتفرج الوحيد..؟!
ليس أمامك الآن
سوى خيارين:
أعده لي،
أو اهدم هذا المسرح العتيق، وَأنْهِ هذه الفصول السخيفة؛
فلم نعد هذا العقل الأول؛
لنقتبس حكمةً من وراء كلِّ تصرف عشوائي.
يكفي أننا مكتفيين
بهذه القوانين.
إن كنت تحبنا ونحن أبناؤك؛
فامح قانون الموت.

لم أحبـــه فقـــط...   بل نصبتـه إلهي،
وما يحدث لي الآن...   هو جزاء مَن ألحَدَ؛

لأنهم أوهموني أنّ مَن علمني حرفًا
وهو لم يكن مُعلمي فقط بل جبريل السماء
فلما لا أعبده..؟
كيف ستشرق الأحلام بدونه
وهو مَن كان يؤتيها لي عَنوة،
ويُمزق جداريات اللا ممكن إرضاءً لي؛
فلما لا أعبده..؟!

فلم أحبه فقط...   بل نصبته إلهي
حين شرحني بفهم
وأدار فتحة ردائي.
هل كنت طوال هذه الأزمنة؛ أمضي للخلف؟
عدة سنوات فقط اتخذت دمائي المجرى الفعلي.
سأعود لتيه التشرد.

لم أحبه فقط...   بل نصبته إلهي،
وما يحدث لي...   هو جزاء مَن ألحَدَ؛

اختار نشيد الصمت حين مات،
وترك لي قضايا لم يتخذ فيها قرارًا :
الحب،
ابنتيه،
وأنا،
أو حتى الرغبات،
لم يعلمني قبل الرحيل
ماذا أفعل،
ماذا أقول،
حين تجادلني تلك المسئوليات؟
راح "محمد"
يصادق القبور
ولم تبقَ من بَوْحِهِ
سوى كلمات.
تأكد أولًا من زَوَالِي،وضمور مشاعري
بعد أنْ ملأني به؛
فلا فراغ لأضواء أخرى
بعد أثيره.
تأكد أولًا من زوالي
فنام، ثم مات.

أطول مسافاتي
اصطحبني فيها إلى حيث فضاءات الكون؛
حيث ينسلخ الماضى منَّا.
يشهد تاريخي ،أنَّ هذا الخَواء الحادث
أملأ فراغاتي؛
حيث علمني دُون عِلمِه
أنَّ جذرية الأشياء بين سطورها.
والسؤال ،أهم ألف مرة
من ألف جواب؛
صديقتك الفلسفة،صوت ترتيلاتى،
وسنقك الملضوم على صدرى
ينزرع بداخلي ،دون أن أدرى،
صار أعظم مفرداتى
هل أنت يا "محمد" هذا الكون؟!
خلقتني بداخلك
وألففتنى بهيوميتك؟*
وأهديتني خُلقك العظيم؟!
لماذا أنفلت بقوة من مَداراتي؟!

---

* نسبة إلى هيوم «فيلسوف الشك»

سأمضي الليلة أفكر،
كيف أواجه وحدي هذا "الانحناء"
أتربص بنفسي.. أم أدعم جنوحي؟!
سأموت أنا أيضا يوما ما
وسأحتاج لمن يكفنني،
ويحفر لي قبرا؛
لأنَّ الحقيقة هي الفناء.
ستمر بضعة سنوات
وسأجد نفسي أرتسم بكتاب قديم،
وحُب الآخرين،
وديعة قابلة دائما للإلغاء
ـ ماذا سأفعل..؟!
أأبدأ امتطاء الزمان؟
أأقاوم ؟
لأي شيء؟
ماذا يفيد الاستمرار مادامت النهايات مغلقة؟!
ألهاتين البنتين؟!
أم لنفسي؟!
ما حكمة كل هذا
ولماذا يحدث..؟!

ذات يوم
وحين كنا نُعيد خلق الأفكار،
ونضع صياغة واقعية للواقع؛

سألني:
ـ ماذا لو امتلكت نقوداً لاعدد لها؟
قلت:
ـ سأجمع بائعات الجرجير، وماسحي الأحذية،وبائعي العرقسوس، ومُعدمي الإصلاح الزراعي، وكل فواعلي وأرزقي وأجير، وأصنع لكلِ دنيا جديدة تليق بكون كلِ إنسان. وأنت ماذا تفعل..؟

قال:
ـ سأجمع كل هؤلاء وأصنع بهم ثورة ،سنسميها ثورة الجياع نطالب فيها بإعادة توزيع الثروات بالعدل وأسقط الأقنعة جميعها، وأبني لك قصرا..
قالها وهو يتأملني؛
فسقط قلمه ولم يلتقطه،
ـ سأرحل قريبا..
قالها، ولم أصدقه.

هل أسير..؟!
أم أقدم استقالة ملونة؟
يقولون إنَّ الإيمان بالقدر خيره وشره صفة المؤمن،
وماذا عن امرأة لم تكن تؤمن إلا بحبيبها؟!
يا أيها الذين آمنوا "اصبروا"
لا بُدَّ وأنْ يحدث ذلك؛
لأنَّ الخيارات الأخرى معدومة،
سأعتكف لأربي ابنتيَّ،
من أين أربيهما؟!
المعاش لا يكفي، لا بُدَّ وأنْ أعمل.
الأعمال في بلدنا
تحتاج لليونة فائقة في كل شيء.
أعود،
أبكي،
تطربني بألم جملة محام متطوع دفاعًا عن ابنتيَّ حين
تشجبها مدرستها
" فأما اليتيم فلا تقهر"
تهدِّئني كلمة من جارتي صبرًا،
" كان سيدنا محمد يتيمًا".

أفرد من جديد لفائفي،
أعثر على ورقة قديمة بمعطفه
كانت عشرة جنيهات عتيقة أحتفظ هو بها،
أرسل بها الحارس لشراء متطلباتنا،
يعود متأففًا
هذه المرة العشرون التي لم يُجني فيها شيئًا من ورائي،
أتحسس أسطوانة قديمة خدشت جوابنها، أضعها بـC.D
كانت تحمل صورًا وبعض لقطات الفيديو العائلية،
المشغل غير قادر على تشغيل القرص،
حتى التكنولوجيا
لا أمان لها،
لا بُدَّ أنْ أنام حتى أستيقظ مبكرًا؛
لتبدأ رحلة البحث عن عمل.

دعت لي أمي:
ـ ربنا يوقفلك أولاد الحلال.
أولاد الحلال لا يمتلكون أعمالًا؛
لذا احتاج هذه الأيام لأي "أولاد".

أرهقني تصنيفهم،
هذا يكفي
لإثبات أننا مصنوعون من تلك العجينة الردئية، الملعون "ميكافيللي" لم يكن كذّابًا، لكنه كان منهم، هؤلاء الرجال دائمًا في حالة جوع يستفزهم إخلاصي للماضي، ووجودي الكامن يمزج الأقطاب،

هذا يكفي.....
لإثبات أننا مصنوعون من تلك العجينه الردئية. أجدل ضفائري كي لا تغريهم نعومة شعري، وأزيح بإهمالي لنفسي عبق أنوثتي، وأدخل بإرادتي هذا المحراب،

وهذا يكفي .....
لإثبات أننا مصنوعون من تلك العجبينة الردئية. أتأمل نفسي في صورتي المعكوسة بمرآة قلمي كيف لهذه المساحة الصغيرة أن تحتوينا، وهؤلاء يطردوني أنا وأبنتيّ لدنيا الخراب.

هذا يكفي ....
لإثبات أننا مصنوعون من تلك العجبنة الردئية. الماء الدافق نتاج الشهوة، وأنَّ المثالية مجرد سراب؛ لذا ميكافيللي أبدًا لم يكن كذّابًا.

حين كان المساء يأتي منتظمًا
أجمع قصائصي، لأصنع خبرة،
ستمر بضع ساعات،
وأكتشف أنّ الوقت كان يتوضأ بدموعي،
وقبل كل النُهر
كان المساء يأتي منتظمًا،
يحملني لوتر يشبه قطعة السكون،
تحلم يومًا أن تسكن أطراف السماوات
دخلت عقدي الثالث بهدوء شديد؛
فكان لزامًا عليّ أن أضع نظارة حول عينيّ،
وارتدي لون الأربعينات، وأبذر العطاء؛
كي يَرَوا فيّ أفعال الزمان،
وألا أكون مازلت تلك الشمطاء
يهواها الرجال، وتغير منها النساء؛
فلا تدخلني صديقة منزلها،
ولا تطلعني جارتي بغرامها مع وزوجها،
كل هذا لأنّي ...
صرت أرملة
وقبل هذا كان المساء يأتي منتظمًا؛
فيصير كل شيء كما لا بُدّ أن يكون.

إنْ أسكبت محبرتي؛
فلأجل أن أشوّه ملامح المفروض
فلا حتمية إلا للكائنات المُجبرة،
وأنا من لا يؤمن بقانون: "الذئب البريء من دم يوسف"؛
فلو وجد الذئب يوسف أولاً؛لالتهمه.
برغم ما يحدث لي ،
وأنّي أسكنته بيدي تلك المقبرة،
لكني مازلت لم أرضَ دخول كهف الأرملة،
كل ما هنالك .....
أنهم يريدون سلب ما أنوي الاحتفاظ به،
يؤمّنون حرماتهم ويزأرون بأناشيد الغرام،
يطلقون لحياتهم،ويّدعون رسالة النبوة
لكني كإله "أسبينوزا" الطاهر؛
أراهم دائمًا ضحية نشأتهم المريضة،
ومصيرنا أعظم من كونه ينتهي بالمقبرة.
لكن، ما جدوى هذا
فأنا "فقط أنا"لا أملك
سوى ورقتي،
وريشتي،
وتلك المحبرة.

كل يوم يمر وهو هناك
تعتنقني المفاهيم المجردة، لتلطمني باتهاماتها
كيف أكون بلا هو..؟!

الأماكن، والأشياء، مَن كانوا معه، ومَن كانوا ضده،
يتناولون مشروبهم على مقربه من مقهى شهير بالسيدة زينب دون "محمد"،
اصطحبت أولادي لتناول السوبيا عند "الرحماني"فاكتشفت أنَّ الأحياء العتيقة، تستمد عراقتها من خطوات مَن رحلوا عنها، السيدة زينب، ومقام أم هاشم، وبائع الكسكسي، وحرامية المقاهي،
كل هؤلاء، إلا محمد،
كيف تسير الأشياء كما كانت عليه دون مَن صنعوها أليست هذه جريمة يجب أنْ تعاقب عليها تاريخية الحركة.؟!
كنت أتوقع وأنا أنظر إلى حجر النرد ينزلق على طاولة المقهى؛ أن يرفض إجبارية اللعب، أنْ يعلن ثورة لفقد أول يد أمسكت به.

فلا أدري..؟! هل استسلامه للفعل ضرورة قومية،
أم حتى الأدوات غادرة..!

مجرد ومضة تطل في ظلامي
أكرهها الآن،
لأنها كانت الهادي لطفولتي المتمردة
هذه الأحلام..
ساعدتني لأنْ أجتاز المتفق عليه بجدارة،
وأنْ أعتنق عكس جميع الأفكار المقررة.
هذه الأحلام...
كانت تصور لي آفاقي بشيء ممزوج بالإبهام؛
لألهث وراءها.
أقضي الليل أرسم على صفحاتي
شكل فتاة تتوسط مركز الأشياء،
الكون يدور مِن حولها،
وفي ليالي قريتي،
تشهد مبانيها وأنفاسها،
أنّي رسمت خريطة للكون
بلا خطوط متصلة،
فقط مجرد نقاط
أشبه بالكلمات.
حين كبرت قليلًا
علمني أستاذ "مسعد" الأبجدية كلها.

قلت له:

ـ أنت لم تفعل عملًا عبقريا وأنت تعلمني حروفًا لا
أراها تُعبّر عن أي شيء بداخلي أو يدور في ذهني.
لكنها كانت محاولة مؤقتة لاجتياز الواقع.

وبرغم هذا الكم المعرفي
إلا أنّها كانت (كمعرفة الحُمق)*
أعود أهدِّأ نفسي، أسرد لجنوني حيثيات قضيتي
أفتح كراس ابنتي
ألقن حكمتي درسًا مُؤدَّاه
"أنَّ قلة الصبر أضاعت أورفيوس"،
وأنَّ خيانة الفعل، ليست طريق النجاة.
الأفضل أنْ نموت صبرًا، أم نموت جوعًا؟
لا بُدَّ وأنْ نتزاحم لانتظار الغد..
عند تابوت خشبي..
يشبه مركب الشمس عند سفح الهرم الأكبر.

«أفضل ما في هذه الحياة
هو الأمل في حياة أخرى».
بسكال

---

* معرفة الحُمق مصطلح لـ «ميشيل فركو»

طرق بابي،
إنه "الشيخ مصطفى" إمام المسجد المجاور لشقتنا،
جاء يعرض خدماته، ويضمني لنموذجه
صاحب جمعية "خيرية"،
يُوَسّط زوجته في التحدث إليّ بعد ما رأى هذا التحفظ
مني، أخذ الأوراق اللازمة لعمل إعلام الوراثة،
ارتحت قليلا بعد أنْ أحاطني أحدٌ اهتمامًا.
ذو لحية بيضاء،
رجل الدين،
يمُثل حماية اجتماعية،
يؤثر في المحيط،
تصادقنا أنا وابنته وزوجته،
ينظر لي لحظاتٍ من خلف ذقنه المترامية،
لا أبالي،
أفهم نظرته الغامضة،
وزوجته تراقب مسار حَدَقتاي؛
فتطمئن عندما لا ترى مني حماسًا،
ومع هذا،
يُشعِل وجودي حربًا.
يطرق بابي هذا الإمام؛

يسقط من نظري،
يُداعب مشاعري من منطقة الحرمان الجسدي، يحاول إغواء صمودي بإثارة الشهوة،
بكلمات رجل متمرس في التقاط الأرامل والمطلقات من على درج جمعيته الخيرية

التي شعارها:
(مساعدة الأرامل، زواج يتيمات، تكامل مطلقات).

أدعو بصوت عالٍ مطالبة:
بسقوط الإمام*.

* سقوط الإمام، رواية لنوال السعداوي

أعود،

أمارس لعبة الأيام المُنقضِية بسلام،

أستيقظ في السادسة صباحًا،

يختبئ مفتاح الباب

ألف مرة بنفسي.

أجر ابنتيّ

وأنسى أنْ أغسل لهما وجهيهما.

تملأني فكرة قِصّة تشبه قصتي،

أقرر أنْ أكتبها عندما أعود.

تجرني بقلق ذاكرتي المملُوءة برقم اسمي في دفتر الحضور والانصراف،

أوقع "تأخير للمرة الخمسين"،

ألعن ألف مرة سائق الميكروباص والتوكتوك اللعين.

كعادة مديرى

يوجه تحية رقيقة محملة بالإهانة،

أقرر أنْ أستقيل؛

فلم يعد يستهويني هذا العمل الوظيفي،

سأكتب شعرًا.

أستلهم من تجربتي قصة حب هُلاميّة،

ومشهد "القُبلة" عند أول لقاء،
يحتوي تفاصيل جسدي المتوقف عن العطاء منذ سنين،

ستصير لحظاتي قاموس للعشق،
حين يقرأه رجل بلا امرأة،
يتحفز لبيع الخبز على
الرصيف المقابل لبيتي.
ستصير الشوارع فوضى عشق ناجم عن كلماتي،
لكني لن أضعف أبدا؛
فحبه ما زال يملأ ما تبقّى،
حتى عند مماتي

عندما أراجع تاريخي،
لا أرى إلا قفزة واحدة، من عالم اللا محدود،
إلى الواقع،
وأحداثه
مجرد مغازلة المثاليات الوقحة
كنت على مداره أعتقد أنّي لا أنجب إلا أفكارًا
كيف سأربي أبنتيّ
هل يرضيني أنّ ما كُنْتُه سيكون؟!

أريدهما أقلّ شقاء.
يتهمونني أنّي أعلمهما التمرد،
دعوني أربّي ابنتيّ كما تمنيت أنْ أكون.
الحقيقة أنّهما في النهاية يحملون أسماء أهلهم،
وأنا مجرد ذيل الشهادة،
لا يذكر اسمها إلا في الأوقات الخطرة،
هل هذا إنصاف؟!

وما دام القانون غير قادر على سن قانون "أب بديل"
فلما لا يعطيني حق الامتلاك الكلي؟!
سنُنادى بأسماء أمهاتنا يوم الدين،

ما العار إذن في أن يُنادَى أبناؤنا بهن في الدنيا أيضًا؟!
أنا التي أنفق،
وأستذكر لهما دروسهما،

وأحملهما على كتفي ليريا تمثال "رمسيس" حين يمر من أمام شارعنا الذين نقطن فيه محمولًا على ناقلة بتشريفة ملوكية إلى المتحف الجديد بالطريق الصحراوى.

وهم يُجنون من وراء ذلك لذتهم في الامتلاك الأبدي بقانون الأنساب ولا يعرفون ماذا وصلوا في مستوياتهم الدراسية..

هل هذا إنصاف..؟!

أحب أنْ أقرأ الجريدة من نهايتها.
ولا أحب ثقافة الاحتفالات والمهرجانات،
أحب الآلام؛
لأنها صدى امتزاج حنين الماضي بروعة الفقد
كرجل عار يهوى أظافر عشيقته تتغلغله،
وكنت أحب "محمد"
وسأحب لحظة تفوق بنتي في الثانوية العامة،
أحب كل هذا وأكره (الحكومات العربية).
المسئول الوحيد.. الذي أدَّى بنا إلى هذا..!
تركت أوراق إعلام الوراثة له؛ ليبله ويشرب حبرَه،
وتركت أوراق معاش النقابة لموظف أراد ذلك أيضا،
وتركت مكان عملي
لرجل أيضا هو صنيع مكون نتاج فساد حكوماتنا،
جمعيهم رجالٌ للسلطة والدين؛
الشيئين المهمين في دولتنا.
لا بُدَّ من انتزاعهما بقرار شعبي.
ينصحني الليل
بأنَّ قانون الطوارئ شعاع ليزر يخترق كل شيء،
سأقوم للصلاة؛ لأدعو الله بأنْ يُرسل ملكًا من السماء،
أو رسولًا جديدًا، ويعود زمن المعجزات.

لغة صماء،
تناجي مناطق بعيدة بداخلي،
أكتشف أنَّ الجزر
حتى بداخلنا،
وأننا مجرد مركز مشترك لأنفس متشعبة
داخل أنفسنا،
أقرر أنْ أنفض العِلات
وأعيد تنصيب نفسي ملكة متوَّجة؛
فما زال لعقلي بقايا.
يرفض ثانية أنْ أصلّي،
لقائمة محظورات
لم يخف "ديفيد شتراوس"
عندما فسر (حياة يسوع) على أنَّها مجرد أسطورة، ولم
ييأس (ابو زيد) بعد (نقد الخطاب الدينى)
بل مات "محمد" دون أن يبوح بمؤلفاته،
أخلع ملابسي،
أنظر لنفسي بمرآتي،
لا عضوٌ
يُوحي
بإشارة انتماء،

ولا
خريطة نهدى
مُحددة بأسماء
إذن فالكون وطني
وحقيقتي
فكرة
متوترة
بين
الجليد
والنار،
لماذا لا نكون أبناء الأرض،
ونتخيّل أنفسنا
أول مَن أنجبتا حواء وآدم،
ونأخذ من كل ديانة مبدأ؛
ومن هولاء المفكرين رسُلا ليقودو العالم.
ـ ماذا لو قاد المفكرون العالم؟!

ولما لا تكون امرأة
لتكن أول "نبية"
عرفتها البشرية؟!

يبنون أهرامًا أخرى من كلام،
ووُعُودٌ تسويفية لتغيير الحاضر،
ينتمي بسرعة كل رجل لأسرة الذكورة،
وتعلو نغمات الوفاء لأعضائه البارزة؛
ليلبي نداء الرغبة؛
معللًا ذلك بمسئولية الله
الذي خلق ذلك فيه دون تدخله.
إنّها كمُعلقات صوفية،
لكلمات نبتت في أرض كَحْلاء
"الساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله"
أنا سعيدة باعتزالي "الجنس"،
فإنْ كانوا يبيحون "المثلية" و "الشذوذ"
بدافع الحرية
فلماذا لا يحللون "التوحُّد" والصورة الذهنية والخيال في ذلك..؟!
لا أريد أنْ يتكفلنا "رجل"،

إنّه مبدأ تحليل "الحَرَام" والبحث عن أبواب شرعية للدخول.
كلُّ رجل بداخله شيطان بريء،
وأنا .. أزداد وزنًا يومًا بعد يوم،

أقلب نفسي عدة مرات،
لم أعد أرى موطن جمال،
ألهذا الحد كان الرجل حافزًا لفتنة أي امرأة..؟!
لكني أستطيع وأنا بدون رجل،
أنْ أنجز مهامًا أكثر،
كالتفكير،
والكتابة،
والتحدث مع صديقتي الثرثارة،

وخيانة "الجمع" بالخلوة المفردة،
هل كان الرجل يمنحني تلك "المُتع"..؟!

تلك الوجدانية المطلقة
لها حلول،
لكل فرض الارتداد لرحم الأصل
بات شيء مفروض
لا يصلح لامرأة دون رجل أنْ تحيا وحدها
وإن كانت الحرية للآخرين حق
فلها .. "حدود".
مَن وضع تلك القوانين..؟!

أليس قانوننا العفوي هو أفضل ما فينا،
لا بُدّ وأنْ أعتذر يومًا للمعبود؛
لخطئي الفادح في حق الفضيلة
ولأني أمزق آيات التوريث
التي حرَمت ابنتيَّ مما لأبيهما مِن نقود؛
لأني لم أنجب ذكرًا.
لألعب بحق التشريع، اللابد،

مع تلك الأسود
راح لهم ما كان يجب أن يكون لنا،
بسبب عدة كلمات،

من عدة حروف،
بكتاب غليظ
تمتلكه فقط
المكتبات الرسمية
اسمه "الدستور"
مُستنِدًا في تشريعاته
لعدة آيات
حتى لا تقترب منه العقول،
يصونون "اللا عدل"
بترسانة التُراث؛
ليصعب قذفه بصواريخ
الحقوق المُهْدَرة
على مَرِّ تاريخهم،
يخافون ثورات الجياع؛
لأنها
قلبت
حضارات

إلا الحكمة
لا تُولد مستقبلًا.
لكنني أستطيع أن أولد أطنانًا منها،
فالتاريخ العربي
يشبه الماضي
وبنتاي
هما "أنا"
الأمس.

لا بُدَّ من وجود تشريع يُحرِّم على مواطني العالم الثالث إنجاب أطفال.
ـ لماذا نتكاثر ما دام أبناؤنا لن يكونوا أفضل مِنَّا.

لكن أبي كان لي
يجلب الغطاء عليَّ في برد الشتاء حين تقذه قدماي
مَن يردع هذا الخطر عنهما الآن..؟!
حكمة الموت يمكن التعامل معها بحكمة،

لكن "الوصاية" الشرعية لا بُدَّ أنْ تؤول للجد أو العم.
معارك بلا أسلحة

لا يعقدوا هدنه معي أبدًا
كلي حبقى بالغيظ
نقطة متأرجحة
بين المجلس الحسبى
ووصاية غيرى، لمن أنجبتهم بآلامى أنا فقط
أهو عقاب للحكم
أم تفعيل لجُرم المجتمع تجاه كل أمٍّ فقدت عائلها..؟!
النيابة الحسبية تعاملني كشخص يتربّح من وراء مصيبته،
كما يتاجر الفلسطيني بقضيته.
والجد والأعمام يرونني طوال الوقت مَن تجني ثمار موت ابنهم وأخيهم.

مَن يشرح للدنيا مأساتي..؟!

ما أبشع أنْ تشعر
أنّ التبعية بلا حدود
وأنّ رسالتك الأدبية
لا بُدّ وأن تكون امتدادًا لترسانة الأديان..
كان لي زوجٌ أستأذنه إنْ أردت الخروج.
الآن لي مجتمع كبير لا بُدّ من موافقته.
أقف أمام كلّ عقل لأنتظر الحكم.
ألف جلاد، ينتظرون خلف هذه الأبواب
لعقد ميثاق شرف المحافظة على أمانة النساء.
لا بُدّ من وجود رجل أثناء عمل بعض الإصلاحات بالسباكة؛
كي لا يخلو رجل بامرأة.
أفتش عن رجل،
لا أجد إلا ابن جارتي الذي لا يتجاوز العشر سنوات،
أهو رجل والسلام..!
على كل أرملة أو مطلقة أنْ تؤدي ضريبة فعل الموت
لمجتمع لا يصلح إلا أنْ يكون فرشاة بلاط؛
لذا

«فالبقاء بعد الموت معقول ومحتمل»

شلر

أعزف وحدى مقطع النجاة،
سأفتح معها مسودة القصة الأخيرة،
وأراقص بطلًا
اعتكف على قراءة شرايين الفتاة؛
ليكتشف تاريخها
عبر الجسد،
يتناوله برأفة حبيب،
عشق الكون قبل النشوء،
يلامس شفاها،
يقبل ما تبقّى من أوراق فصلًا كان أمتع ما في محتوياتها،
يحتجز تلك "الأراوى"* الجملية
من قطيع كان شاردًا مِن دنيا العشق المعقول،
يتحسسها برفق،
هي تحتاج هذا الأرغول،

أداوم على امتطاء الخيال بدرّاجة "حمراء"
تساعدني على الدخول عبر ممراتي المُهْمَلة،
عبر سنواتي الكثيرة،
يسعده هذا إثر انتفاخ عروقه،

* الأراوى «إناث الوعول»

أحمله إلى
هذا "الدَهوري" العتيق،
يشبه أداة الاختراق
لنكن نبلاء حتى في الملاقاة الجسدية،
لنكن عظماء في خلع أغطية الجسد،
يلتهم صدري بأسنانه الحادة،
أحب الآلام وقت هذه "الملحمة"
سأطلب منه ملاقاتي من الخلف،
لأكون عكس الزمان؛
لتنتهي القصة
(برقصة الاختلاف)
ينتحر البطل
حين يتهاوى زورقه
بمنتصف الطريق

لم تكن النوايا الحسنة وحدها
كفيلة
لإثبات

أنّي
تلك المؤمنة الطيبة،

ولأني
كنت أكتب شعرًا في "مالك"،
وأصلي،
كان لا بُدّ
وأنْ أتسود بوشاح "الاعتكاف"
لأحجب أجنحتي عن التحلق في سماء مليئة برجال
ينصّبُون أنفسهم حُماة نساء العالم،
لا رجل عربي يستحق جسد امرأة،
تذاءبّت بفعل أفعالهم
قطعة من نار..،
تلُفلفت بجلباب يتدلّى أرضًا بلا تفاصيل
يحمل ذرات الثرَى
العالق من جرداء الشرق،

مِن أديمِ أرضٍ حرقتها آيات مرتطمة
عبر قرون عربية،
كانت أقرب للخرافة قبل مجيء العلم،
ليس اختيارًا
حتى إن كان الموت اختيارًا،
فالآراء ببلاد إسلامية
بلا أطراف،
كرسالة إعلامية آحادية البث
تنتهي في النهاية
لتطبيق ما يخدم هذا الرجل المناضل الشريف
ستكبرا ابنتاي،
وستُحمَلا على وضع هذه الأحجبة حتى وقت الغُسل الأخير،

لا بُدَّ وأنْ أعلمهما مِن الآن
كيفية إحباط استشراقهما،
حتى لا تُصطدما بغروب الشرق العتيق.
سيوفر ذلك مجهودًا ضخمًا عليهما

حطموا كل آلهتى؛

حين ألبسونى تهمة الفلسفة الحقيرة،

ألآني امرأة خبأت بحامل ثدييها هذا الكتاب..؟!

كان وجوديًا،

وكنت أكره هؤلاء الوجوديين.

كانوا حقيقيين فوق الاحتمال،

كل الرجال يحبون البطولة

إلا "محمد" كان يكره ذلك.

كانت عظمته في كونه لا يشارك بوعي في تزييف وعيه.

ألآنى امرأة خبأت بحامل ثدييها هذا الكتاب..؟!

كان مركسيًا

وكنت أكره هؤلاء الماركسيين، تركوني أتسكع على عتبات الرأسماليين ولم يكرهوا هؤلاء الليبراليين كما يجب.

ألآني امرأة خبأت بحامل ثدييها هذا الكتاب..؟!

وكان إسلاميًا

وكنت أحب هؤلاء الإسلاميين؛حتى أخرج من عباءتهم، سأكرههم للأبد.

حطموا كل آلهتي؛

حين ألبسوني تهمة الفلسفة الحقيرة.

إيها البحر المتسوّل،
ماذا تريد من تلك الشواطئ الفاجرة
سمحت لأعضاؤها أنْ تمتلئ بك
وأنا بلا رجل،
كفُوّهات براكين، مناطق قابلة للانثقاب،
حلم الرجل،
يشبه في أحلامي ليل أوربا في ساعة متأخرة بإحدى
قصائد جوته،
وليل النبي بجوار عائشة.
ليتني كنت أحدَى زوجات محمد؛
كنت سأقنعه بالتخلي عن الغزوات؛
ليكون ليله لي وحدي؛ ليكتشف أنَّ هناك نساء
يُجِدْنَ المعاشرة أفضل من حُميرائه.
إيها البحر المُتسوّل،ماذا تريد من تلك الشواطئ الفاجرة،
وأنا، امرأة بلا رجل.
ليتني كنت زوجة لهيجل،
هل كانت ـ وقتها ـ فلسفتة ستكون بهذا الغموض؟!
كُنّا سنغتسل يوميًا معًا
بضوء الشَفَق،
كنت سأجعلة يكتب بطريقة أكثر بساطة.

دخلي لا يكفيني،
لابُدَّ وأنْ أبحث عن عمل إضافي،
يستلزم ذلك أنْ أترك أولادي لمُربّية؛
إذن...
لا توفير؛
ستلتهم هذه المُربّية كل راتبي،
الحل أنْ أجد شيئًا أعمله وأنا بالبيت،
كما يفعل هؤلاء الصينيون.
الحِرَف ببلدنا للذكور فقط،
وللنساء الأحلام.
الحلم
عقد متفق عليه بين النساء والخفاء،
فسخ أحد الطرفين له جريمة تعاقب عليها قوانين الذكور.
سأصنع بعض الإكسسوار الحريمي من(عجبينة الصلصال)،
أذهب لشرائها من "الموسكي"
ـ لماذا ينظر إليّ هذا التاجر بنفور..؟!

المنتقبة صارت رمزًا للإرهابية، يخشى الناس التعامل معها،
وشروط البنك الدولي للإقراض؛
تُبدِّل مفاهيمنا لكل ما صار حقيقة

تفعيل دور المرآة ، تمكين المرأة
إعلامنا لا يُظهر مذيعة محجبة على شاشة التليفزيون
برغم أننا بلد به نسبة المحجّبات أكثر من تسعين بالمائة.
لو
هناك
احتلال
لقاومناه،
لصارت لنا قضية.

ما أصعب أن نحارب مفاهيم تستخدم لعمل ترسانة معتقدات
لا
تخدم
فقط..
إلا
السلطة.

الآن أستطيع أن أخلد أدبياتي
وأبحر من جديد،
وأبدو وكأني لا أحمل من الماضي شيئًا،
أتعلّم الإنجليزية وأنا أستذكر لابنتيّ دروسهما.
سأهجر هذا الوطن وأقيم حياه أخرى،
لا بُدَّ وأن تكون الأوطان كلها مفتوحة.
لسنا طيورًا أليفة ليحتجزوننا بأسوارٍ وهمية يسمونها حدودًا سياسية.
النص المغلق
أظن أنَّ إنسان البدائية كان أكثر انطلاقا وأكثر سعادة
لا قوانين، لا نيابة حسبية،
لا صاحب عمارة صعيدي يمتطي سيارة "مرسيدس" ويشتري النساء ببضعة نقود حصل عليها من الإسمنت والحديد،
أليس العالم الآن أحوج ما يكون لقانون كوني،
وحكومات كونية،
تعطينا الحق في العيش بأي مكان على الأرض،
والتنقل بجواز سفر
مكتوب بخانه الجنسية:
"إنسانٌ كونيٌّ"..؟!

محاولات،

أم كثرة من المختصرات

ومادمنا غير قادرين على انقاد ما نحن مسئولون عنه،

أليس الأجدر أنْ نُقلل مِن مخاطر ما تصنعه أنفسنا..؟!

ماذا تفعل أرملة...؟!

في زمن الاحتكارات

والتكتلات

إن تمسكت بما تعتقد صوابه

فلا بُدَّ وأن تتحمل عواقب الصراع.

إنّه الصراع غير الشرعي؛

صراع الفقر.

أواجه "إحداث" للأحداث

وليس معي أحد ليجابه كل هذا:

تدبير الإيجار،

المأكل، المواصلات.

ماذا أجابه تحديدًا :

مجتمع الذكور؟!

أم القوانين..؟!

أم الفقر..؟!

هل سينقضي العمر وأنا ألهث وراء مبعثرات الأحلام..؟
كل يوم يمر
أمل جديد
في غدٍ لم يوقّع اتفاقية مبرمة بصراحة مع المستقبل،
لكنها وعود تتماشى مع حكومات عربية.
رائحة التمني تملأ إسطوانات الحرمان بداخلنا؛ لتكوُن
حياه أفضل.

يجب أنْ يكون لي أشياء أفضل منها:
العائلة، المال، السلطة،
ومجتمع لا يلتفت لاعتبارات أخرى
إنّها فقط مجرد
لو كان "كان" صار بما نتمنى،
لكان اليوم أفضل من الماضي،
الحقيقة في النهاية
أنّ الحاضر هو أفضل قراءة لحاضرنا،
وأنّ المستقبل امتداد لذلك الحاضر في مجتماعاتنا العربية،
وأنّ ما أتمناه هذا
مجرد
"يوتوبيا" أرملة عربية؛

كل هذا لأني أحتاج لمقولة واحدة،
تلطمني بنبأ تاريخي،
أكون بمقتضاها قد بدأت أمحو إخلاص نفسي؛
لأكتب بيدي اليسرى مصيري برماد النساء،
لكني سأعطر هذا الانتهاء أيضًا "بالكتابة"؛
لأني
أحتاج لمقولة واحدة
تشعل رغبتي في البقاء ثانية؛
لأرى الأمل
بأنامل ابنتيّ
يحتوي دفعاتي للاستمرار،
سأكون بعد عدة سنوات أمًّا لشابات،
سأكون يوما ما ،جدة لحفيدات
لماذا لا أخلع هذا الرداء الاسود؛
لأرى القطرة المعلقة على صدري منذ سنوات؛
لأرى بها حلمًا قد داعبني
وأنا في الخامسة عشر من عمري؛
حين قرأت «البحث عن الزمن الضائع»
«لمارسيل بروست».

أستطيع من خلال هذا الفراغ،
أنْ أسمع أنغام السَماء،
لكن الليل، لم يعد قادرًا على احتوائي،
صوته صفير، يعوي كحيوان ضال.
أليس هذا هو الليل الذي كنت أنتظره لأداعب أعضاء
جسده وهو ملقى على ظهره؟!
يخالط شرابي،
يذكرني بموقف عنيف أريد أن أنساه.
لم يعد الليل قادرًا على احتوائي،
تنبش "قطة" بسلة المهملات،
تفزعني،
أقضي باقي الليل، أشاهد برامج لا تشبعني؛
لينقضي الظلام بسلام.
أبكي

فحتى العفاريت

تخشى الرجال،

أنظر لابنتيّ،
غارقتين في النوم،
أنا أمثل لهما الأمان،
وأنا أمثل لنفسي اللا أمان.

لا يجب أن نعقد كثيرًا من الآمال على المستقبل،
فالواقع هو الأجدر بالاحترام،
والماضي قد أدّى دوره ورَحل،
والتحلّق أكثر مما هو مسموح،
مجرد تجليات،
مَن المسئول الأول عن مأساتي؟!
مَن أعطى هؤلاء المجتمعين هذه الأداة لجَلْد الظواهر "اللامعة" مثلي أنا؟!
إنَّ هذا العالم مُنقسم لقسمين:
قسم جاني،
وآخر جاني جدًا،
بينهما فقط حرف عطف
لا يجب أنْ نعقد كثيرًا من الآمال على المستقبل.

يومًا ما..
ستنضما ابنتيّ لعائلتهما الكبيرة،
أو ستتزوجا و ترحلا بعد بضع سنوات؛
ستقتلني الوحدة أنذاك.
سأقطن دارًا للمسنين بحقيبة يدٍ باهتة
يفتح لي حارسها البوابة بشفقة

هل كانت مفاجأة أنْ أكتشف كل هذا؟!

أنْ يُقايضني مهندس الكمبيوتر القذر لمجرد عمل بعض الإصلاحات، للدخول على شبكة المعلومات؟

لا أريد "إنترنت"،

سأقترض بعض الكتب عن صيانة الكمبيوتر وأقرأها جيدًا، وأصنع ذلك بنفسي.

لقد تعلمت أنْ أصلح الأثاث بنفسي، وأبدّل أسلاك ولمبات الكهرباء التالفة بنفسي أيضًا.

المجتمع يمنح بسخاء

مَن يُطيع،

والرجال يحاربون بضمير

الأنثى الرافضة.

جميعهم صاروا أعدائي.

كل القوانين العربية مِن صنع رجال رفضتهم نساؤهم،

في هذا المأزق منذ عام فقط،

كأنه دهرًا،

عُدت

أحفر مجاري لتجاعيد وجهي،

وأقنن ابتساماتي
وأقبل كلَّ الرهانات للخسارة.
ولا فرق الآن
بين المكاسب والخسارات.

أنتظر مجيء أول الشهر
على مقربة من مكتب البريد؛
لألتهم المعاش،
لا جدوى
الحسابات لا تُزيد المبلغ
والتدبير بعناية له أضراره،
سنقضي الشهر،بقليل من الجُبن القريش،وسأؤجل شراء
حذاء لابنتي الكبرى هذا الشهر،
سنكتفي بإصلاح القديم،

كل النظريات محاولات تقريبية لتحقيق السعادة.
السعادة ببلد نام رفاهية يجب التخلِّي عنها لحين حدوث طفرة
لا تأتي لهؤلاء الفقراء أبدًا،
ليس تحطيمًا لكل الأكذوبات العربية،
إنما حتى الثورات
تحركها السلطة
فليس التاريخ إلا تأريخ السياسة.
والأحداث الصغيرة ليست إلا لأبطال الروايات.
سأكتب قصة مناضلة فائرة، يعشقها سائس
ثم تُجرِّده من عمله السياسي، وتحكم عليه بجمالها
وأنوثتها أن يستقل من الحكومة ويغسل لها الأطباق.
تضحك ابنتي بهستيريا لمشهد من فيلم إسماعيل ياسين.
يطرق مُحصِّل فاتورة الكهرباء الباب،
أفتش عن العشرين جنيهًا، بحقيبتي فلم أجدها،
يترك كعب الإيصال للمرة الخامسة ويرحل.
غدًا أفضل من اليوم،
أمنِّي نفسي؛
لأعيش لهما؛
كَيلا تصبحا يتيمتا الأب والأم.

لا أريد أنْ أرتد للضلال لمجرد أنّ نتيجة الأحداث جاءت على عكس ما كنت أتوقع؛ "فالإيمان هو اختبار مدى إيمانك"،

مطلوب على الفور العودة للقرية مرة أخرى،

لا جدوى عن محاولات الاقناع؛

فأنا امرأة. امرأة فقط، ولم أنجب ذكرًا،

يتطلب ذلك قدر من المراجعة

كيف أتعايش هناك مرة أخرى؟

أكثر من عشر سنوات وأنا بعيدة عن بلدتي.. بعيدة عن ذكرياتي لكنّها معي،

لا بُدّ من اقتناع تدريجي لي ولأولادي؛ فذكرياتهم هنا وأصدقاؤهم هنا،

يلزمني مجهود ضخم لأدير هذا الصراع؛

لأني أتعامل ليل نهار

مع هذا المحامي، وهذا المدير، وهذا البواب، وهذا.. وهذا

جمعيهم يريدون أتعابًا غير متعارف عليها،

وأنا أجهل هذه المصطلحات؛

لأنّي كنت عمرًا طويلا بخزانة الزوجية.

لم يعد السكون خيارًا ممكنًا

والبقاء بهذه المدينة أمرًا مستحيلًا

أطول الأوقات،
نقضيها مع أنفسنا،
وفي كل إخفاقة،
أبحث عن هدف آخر.
عند أولى مستويات الذات
نبتهج كثيرًا ونشعر أننا الأفضل؛
حين يأتينا استغاثة من مكان بعيد
لكنها فقط
حكمة ليست نزيهة نتركها بعد كل حكاية،
هي أقصوصة العشق والعاشق والمعشوق،
في كل وقت.. كل مكان
لكني أحتاج إليه أحيانًا،
أحتاج لمنقذ غير العودة الى بلدتي
سيراني الحالمة كبداية ثم الحبيبة

وفي نهاية المرحلة سأكون الأنثى بمفاتنها وصدرها المتجمّد؛
ليكتشف أنَّ عمره السابق ضاع هباءً، دون امرأة مثلي،
ليست خيانة للماضي،
إنّها قسمة العدل، فهو الآن بالجنة يعاشر حور العين
وأنا بلا رجل.

هل سيأتي هذا البطل بحماره الأسود؟!

مَن سيكون هذا المقدام؟!

أهو هذا المحامي المغمور، أم الإمام الملتحي، أم هذا الزميل المضمور في كراسات التحضير لا يعرف إلا أهداف الدرس وتاريخ اليوم؟!

ربما هناك رجال يحتاجون لامرأة وأنا لا أعرفهم.

رسالة من هاتفي المحمول لقناة متخصصة في التقريب بين من يريدون الزواج وسأعثر على هذا الرجل الذي سينقذني من العودة لشماتة أهلي وسيطرة رجالهم.

لأكون امرأة لرجل،

لأبقى هنا،

لأموت هنا

بين صفحات كُتب الفلسفة العتيقة وأوهام مفكرو

الحداثة ونظريات الكوزمولجي الخيالية،

وصورة محمد الملتصقة على جدار حجرة نومي

لأبقى هنا،

لأموت هنا،

لا بُدَّ من رابط قوي يبقيني

لا بُدَّ من الزواج.

الحقيقة إنّ هذا الرجل
صنع بداخلي شرخًا،
وسكن فيه للأبد.
لماذا لا أستطيع تقبل أي رجل آخر يلمس جسدي؟!
أنا الآن المرأة التي احتنكت شهواتها وصارت خلف الجبال العالية تلقيها للملائكة وعدًا قديمًا بينها وبين حبيبها.

أنا المرأة تلك غير الرغيبة إلا من قُراء المستحيل عبر قرون الثقافة كلها.
أنا المرأة
أنا هي
اتصل بي هذا الزوج المرشح من قِبل القناة للمرة الثانية
هل تقبلني زوجة وأنا لا أمتلك شيئًا..؟!
الحقيقة إنّ المشكلة..
تتلخص في كوننا،
كنّا من الممكن،
أنْ نكون أكثر سعادة،
لو كانت الثروات تكفينا،
وليس في كوننا،
نُريد عِشقًا فوق الاحتمال.

عدت لحضن أمي أبكي
كآخر مشهد عن الرحيل،
هؤلاء أهلي،
وهذه كافورتي التي ودعتها منذ عشر سنوات
تشهد تَبَدُّل الناس،
والأشياء تبقى.
مات محمد
وبقيت نظارته وكتبة ومعطفه
ومات أبي
وبقيت عصاه،
وعباءته.
وعندما أموت
سأترك فقط
حُزنًا،
وبنتين؛
" لأنَّ الموت ليس نكتة سخيفة"،
وأنَّ الطبيعة لا تأتي حيلًا مرحة،
فإنها تنهي الحياة بأسرها بالموت.
والحق إنَّ الوجود يتبدد بذاته

ويلحق بمرتبة «العدم»

«فويرباخ»

جئت للبداية،
البدايات والنهايات
مظلمة، الرحم والقبر
لكني أستطيع أنْ أرسم على جدران الحياة «نقوشًا»
فالقدماء لم يتركوا المعابد خواء بل رسموا الموت بازميل التحدي،
لم يعد هنا «أجران» لأتمرغ بقش الأرز،
لكن مصادر السعادة متجددة،
سأسقي شجرتي لتتذكرني،لنعود سويا نبتز هذا المستحيل،
سأقشر بعضًا من لحائها وأغمسة بدموعي
وننقش بكفينا سؤالًا:
- هل هناك حكمة مقنعة من وجودنا؟!
- فالأرض تدور عكس عقارب الساعة
إذن فنحن نعد الماضي
والأحياء موتى ماتوا من قبل، نحن الماضي
فما الحاضر الذي نسميه مستقبلًا..؟!
أستطيع الآن أنْ أترك ابنتيّ مع أمي
وأعمل...

كبروا هؤلاء الصغار دفعة واحدة
صرت "عمة وخالة"،
أثبتوا لي أني على وشك الشيخوخة
كل يوم يمر،
يصير الماضي القريب حنينًا،
ذكرى،
ندوات المجلس الأعلى للثقافة،
معرض الكتاب،
دار الأوبرا،
إتيلية القاهرة،
هؤلاء البؤساء "المثقفون"،
لكن وجودي هنا ليس سيئًا للغاية،
فلديّ وقت للكتابة،
ولديّ أحد أحدثه،
ولدي عائلة كبيرة تفرض قيودها باستمرار،
لكنها تنتهي في النهاية بخصام دائم بيني وبين أولاد "عمي"

ونقلت أولادي إلى مدرسة "أميري" "عربي" مكتظة بفصولها
التي تتعدّى كثافتها التسعين طفلًا في الفصل الواحد،
لكن هذا أفضل من بُعدهم عني،

هذا أفضل من أن يسحبهم جدهم وأعمامهم بحياتهم بعيدًا، فلا أراهم إلا في المناسبات.

اختلافات كثيرة منذ كنت بهذا المكان قبل عشر سنوات

وبين الآن،

أعظمها هو أنّ الرجل الذي كان مجرد ومضة ضوء في خيالي صار واقعًا، فأخصبُ أرضَى بمزيد من التجربة وأمجدها.

هو أنّ لدي الآن ابنتين صارتا قضيتي في هذه الحياة،

وأسخفها هؤلاء الذكور المُصرّين على ممارسة هذا الدور الأبدي منذ الخليقة.

قريتي أقل ثرثرة من تلك المدينة "القاهرة"

التي لا تكف عن الضجيج دائمًا،

أستشرق مع الليل نهارها من جديد،

مرة أخري،

شيء ما قد تبدّل:

الأشياء،

البشر،

ماكينة الحصاد ضيف لم أره قبل اليوم.

زوجة عمي التي لم تعد تصنع رغيف الخبز الفلاحي وتشتريه جاهزا.

تزوجت "فاطمة" وأنجبت طفلين، ولم تعد من آثار الطفولة سوى الأماكن،

تغتصبني الذكريات مرة أخرى،

تستدرجني لتوتة الشيخ "حامد"، يسبقني ظلي بفرحة شديدة لهناك حيث لا وجود لقوانين الجاذبية الأرضية.

- أين توتي؟
- ماتت توتي.
- خانوها هي أيضا.

صارت طابية البطل الثورجي مزارًا سياحيًا
تبدلت الأشياء كلها للأسوأ،
قوانيننا العُفوية صارت "عَنوة"؛
البقاء صار للأصلح هنا أيضًا،
لا مكان لمن لا فائدة له،
غدًا سيُدفن هؤلاء الأشخاص
الذين لاجدوى من وجودهم.

بهدوء شديد
لا بُدَّ وأن أقدم نموذجًا مشرقًا لنفسي.

أفتش عن اليود الذي أستنشقه في حروف كلمة "بحر"،
أهذب شعر ابنتيّ،
أشتري نقابًا أكثر سمكًا ليحجبني عن الشمس،
أتم دراسة علوم الحديث "بمعهد القراءات"

بهدوء شديد
سأنام قليلًا،
لأستيقظ عند ميلاد جديد لبشرية أخرى،

برغم كل هذا
شيء ليس بقديم،
شُرفة شقتي على هذا الشارع المكتظ بالمَحال،
مطعم الفول والطعمية،
عجلاتي أبو حسين،
كنّا ذات يوم
نُغْرِبُ أنفسنا تحت وطأة القوانين
لنكتشف أننا على مَرّ تاريخنا
كُنّا مفعولًا بنا على الدوام.
قال لي "محمد":
ماذا لو كنا الفاعل لو مرة واحدة؟!
قلت :
نعم ... أنا سأكتب
الكتابة نصف انحراف
الانحراف أفضل وسيلة للوصول للحقيقة
قال:
وأنا سأموت
الموت هو الحقيقة ذاتها
بهدوء شديد سأنام قليلًا
لأستيقظ عند ميلاد جديد لبشرية أخرى.


شمس
للنشر والتوزيع
(+٢)٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤ (+٢) ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥
www.shams-group.net